



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الموسومة بـ:

دلالة الفضاء عند الشعراء الصعاليك

إشراف:

– أ. بوزيد نجاة

إعداد الطالبتين:

– بلقاسمي فريدة

– بوسيف فضيلة

السنة الجامعية: 2018 – 2019



شكر و عرفان

الحمد لله والشكر من قبل ومن بعد الله سبحانه وتعالى الذي أنعم علينا
بنعمة العلم والذي وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز

هذا العمل

ثم الشكر إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة عبد الحميد بن
باديس مستغنام، لتسهيله كل الإجراءات المتعلقة بموضوع البحث
ثم الشكر إلى الدكتورة "بوزيد نجات" التي أعانتنا وأرشدتنا لإكمال هذا
البحث، وخروجه بهذه الصورة

والشكر إلى زملائي رفقاء درب العلم (أسرة الأصدقاء) مع أطيب الأمنيات
كما نشكر كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد
وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ندعو الله عز وجل أن يرزقنا السداد، والرشاد

والتوفيق



إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم:

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}

إلى آبائنا،

رمز العلم والمعرفة، رمز الصدق والأمانة، معنى الأبوة السامية

إلى أمهاتنا

نبيع حنانا، رمز الأمومة والتضحية، وما أجمل الأم عندما تكون الأم هي.....أمنا

إلى إخواننا وأخواتنا، رمز الصداقة والإحترام والتقدير والمحبة

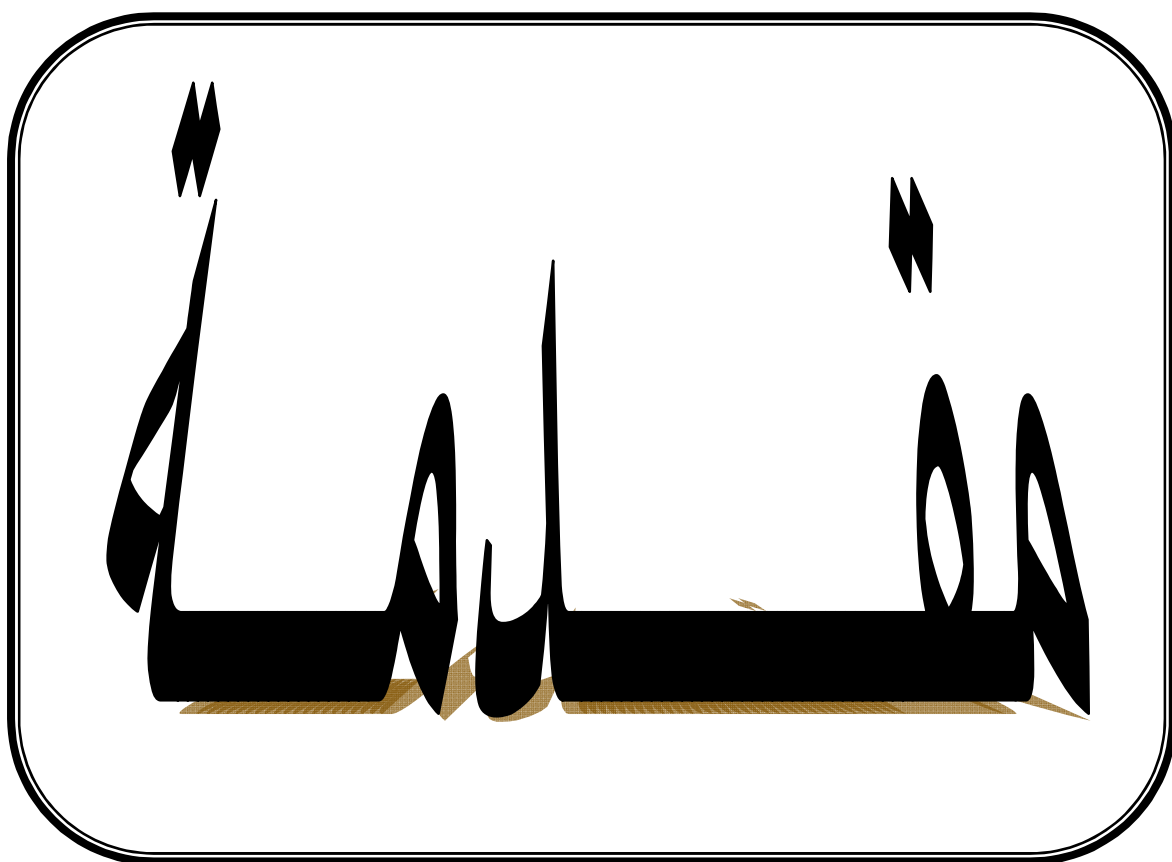
إلى كل نساء إخواننا وأبنائهم كل التقدير والإعزاز

إلى صديقاتنا كل الإحترام والتقدير

بل: إلى كل من وفر لنا أدنى سبل الراحة في مشوار تعليمنا نهدبهم ثمرة نجا حنا

بلقاسمي فريدة

بوسيف فضيلة



مقدمة:

الأدب الجاهلي هو أدب الفترة التي سبقت ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف قرن، وقد نشأ هذا الأدب في الجزيرة، يستوحي صورته وأفكاره من بيئتها الطبيعية والاجتماعية، ويرسم لنا بشعره ونثره صورة واضحة لهذه البيئة، معبرة عنها أصدق التعبير وفي هذا العصر ظهرت طبقة اجتماعية كان أفرادها خارجين على حكم قبائلهم، وقوانينها الصارمة وقد تكونت هذه الطبقة من أفراد مطرودين أو مطاردين، يحملون أرواحهم ويهيمنون في الصحراء المترامية، وقد جمعهم في جماعات التوحد والفرق، ونبغ منهم شعراء هؤلاء الصعاليك.

فشعر الصعاليك مصطلح يصف ظاهرة فكرية نفسية اجتماعية أدبية لطائفة من شعراء العصر الجاهلي، عكس سلوكهم وشعرهم، نمطاً فكرياً واجتماعياً مغايراً لما كان سائداً في ذلك العصر، فمقاصد شعر الصعاليك كلها في تصوير حياتهم. ولعل ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع دلالة الفضاء عن الشعراء الصعاليك هو اعتباره موضوعاً هاماً يتضمن ظاهرة مهمة من ظواهر العصر الجاهلي، فهو نابع من قناعتنا في دراسة التراث الشعري العربي، وفي ضوء ذلك تطرح مجموعة من التساؤلات أهمها:

- ما علاقة التمرد بالفضاء الطبيعي؟.
 - ما هي الأبعاد الدلالية للفضاء المكاني في نصوص صعاليك الجاهلية؟.
- وللإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة، اعتمدنا خطة بحث كالتالي:
- مقدمة: تمهيد لموضوع البحث وأسباب اختياره متنوع بإشكالية وخطة بحث.
- مدخل: معنون بظاهرة الصعلكة، وتناولنا فيه مفهوم الصعلكة لغو واصطلاحاً، أسباب ظهورها، وفئات الصعاليك الخلاء الشذاذ والأغربة.
- مدخل: معنون بظاهرة الصعلكة، وتناولنا فيه مفهوم الصعلكة لغو واصطلاحاً، أسباب ظهورها، وفئات الصعاليك الخلاء الشذاذ والأغربة "السود" وفئة الفقراء.
- ثم تلاه فصلان، فصل نظري بعنوان: شعر الصعاليك وعلاقته بالفضاء الطبيعي، حيث تطرقنا فيه إلى تعريف الفضاء لغة واصطلاحاً، وعلاقة التمرد بالفضاء الطبيعي

وموضوعات شعر الصعاليك وأهم الظواهر الفنية واللغوية والعروضية في شعرهم، وفصل آخر تطبيقي بعنوان: الصعاليك ودلالة الفضاء المكاني في شعرهم، وتضمن نبذة عن حياة الشعراء الصعاليك: عروة بن الورد، تائب شرا، الشنفرى، السليك بن السلكة، ودلالة فضاء الصحراء المتماذي اللامنتهي، دلالة فضاء الجبل، دلالة فضاء الشعاب والأودية.

وأخيرا أنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث. وقد استدعت طبيعة البحث المدروس أن يكون المنهج المتبع فيه هو المنهج الوصفي التحليلي.

ولقد اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ليوסף خليف، وشعر الصعاليك منهجه، وخصائصه لعبد الحلیم حنفي، وفي تاريخ الأدب الجاهلي لعلي الجندي.

كما لا يخلو أي بحث من صعوبات تقف في طريق الباحث، وتعيق سيره، لعل أهمها عمق الموضوع وتشعبه وصعوبة الإلمام بكل جوانبه، وأيضاً طبيعة شعر الصعاليك، فهو شعر غير محقق بالدقة الكافية.

وأخيرا نرجوا أن نكون قد وفقنا في إتمام إلى حد معين بجوانب الموضوع والإحاطة ولو بجزء بسيط، ونتوجه بالشكر إلى الله تعالى الذي سهل إعداد هذه المذكرة، وذلك بفضلته وبتوفيقة ونسأله سبحانه أن جعل عملنا هذا خالصاً ينفعنا وينفع غيرنا، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من كانت له يد العون في إتمام البحث وإخراجه في صورته النهائية، بدءاً بالأستاذة المشرفة "بوزيد نجاه"، ونسأل الله أن يلهمنا السداد في القول والفكر والعمل.

مدخل

عرف العصر الجاهلي ظاهرة خاصة، هي ظاهرة الصعلكة، قام بها أفراد احتقرهم المجتمع القبلي، فعاشوا على هامشة لكن؟ هم استطاعوا بفضل المسار الذي خطوه لأنفسهم أن يضيفوا على تسميتهم السلبية "الصعاليك" وأبعاد جديدة ويرتفعوا بها، حيث صارت اسما يدل على حركة نعمت باهتمام الباحثين.

الصعلكة لغة واصطلاحاً:

أ- لغة: صعلك: الصُعْلُوك: الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد، وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك¹، قال حاتم الطائي:

غَنِيًّا زَمَانًا بِالنَّصْعُكِ وَالْغِنَى، فُكُلًا سَقَانًا بِكَاسِيهَا الدُّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَعِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا، وَلَا أَرْزَى بِأَحْسَابِنَا الْفُقْرُ²

قال الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ): (الصعلوك، وفعله التصعلك، ويجمع الصعاليك، وهم قوم لا مال لهم ولا اعتماد)³ وتصلكت الإبل: خرجت أوبارها وانجردت. ورجل مصعلك الرأس مدوره.

وصعلك الثريدة: جعل لها رأسا وقيل: رفع رأسها.⁴

المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، إما بمدلوله المباشر وهو التجرد، لأن الفقر في الإنسان هو التجرد من الغنى، وتصلك الإبل تجردها من أوبارها، وكذلك فإن صعلكة الثريدة تجردها من الضخامة كأن يضر أعلاها.⁵

وإما بآثاره كالضمور والهزال، مثل تصعلك الأسنمة باستدارتها وضمورها بالنسبة للأسنمة الأخرى المنبججة والضحمة... ويمكن إذا رد كل هذه الاستعمالات إلى معنى الفقر

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، دت، م11، ص234.

² هشام بن محمد الكلبي، ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره، ت.ج، عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط دت، ص213.

³ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت.ج، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، د.ط، 1981 ص303.

⁴ أبو الحسن بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ت.ج، عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2000، ج2، ص416.

⁵ عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، منهجه، وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1987م، ص17.

وأثاره من ضمور وهزال نحز ذلك.¹

ونجد الجوهري يتفق تماما مع "ابن سيده" في تعريفه للصعلكة والصلعوك وذلك من خلال معناه الفقر والتجرد، إلا أنه زاد عليه بقوله: "وصعاليك العرب ذؤبانها"².

وقال الأصمعي في قول أبي داؤد يصف خيلاً:

قَدْ تَصَعْلَكُنْ فِي الرَّبِيعِ وَقَدْ قَتَّ رَرَّعَ جَلْدَ الْفَرَائِضِ الْأَقْدَامُ

قال: تصعلكن: دققتن، وطار عفاؤها عنها، والفريضة: موضع قدم الفارس.

والتصعلك: الفقر.

وصعاليك العرب ذؤبانها. وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيروزية مما يغنم.³

والصعلكة في مفهومها اللغوي تعني الفقر، الذي يجرد الإنسان من ماله ويظهر ضامراً هزياً بين أولئك الأغنياء المترفين. حتى يدفعه الفقر إلى حالة من حالات التمرد على القيم والتقاليد، ويبدأ بمواجهة الحياة منفرداً، وقد يسلك في ذلك، طرق الاغتصاب، والسلب والنهب، والقتل، والجريمة. ويعتمد على الفروسية والقوة، والسيف والرمح.⁴

ولا ننسى أن كثيراً ممن خلعتهم القبائل أصبحوا في هذا الحزب، وإلى هذا يشير طرفة بن العبد:

إِلَى أَنْ تُحَامَتْنِي الْعَشِيرَةَ كُلُّهَا وَأَفْرَدَتْ أَفْرَادِ الْبَعِيرِ الْمَعْبِدِ.⁵

ويتبين لنا أصحاب المعاجم اللغوية قد اتفقوا على أن المعنى اللغوي للصعلكة هو الفقر، وأن استعمالاتها الأخرى كالتجرد، والضمور والهزال تدور حول هذا المعنى أيضاً.⁶

وفي هذا المعنى يقول عروة بن الورد:

دَعَيْنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَاِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمْ الْفَقِيرُ

¹ المرجع السابق، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، منهجه، وخصائصه، ص18.
² إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، سنة 1990، ص125.

³ يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب، القاهرة، دط، دبت، ص15-16.

⁴ ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، دط، دبت، ص38.

⁵ المرجع السابق، ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص28.

⁶ عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، منهجه، وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، دط، 1987م، ص17-18.

وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أُمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرٌ
وَيُقْصِيهِ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ حَلِيئَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ

فالصعلوك لم يرض بهذا القدر ولم تصبر نفسه على هذه الحياة، فقرر خوض غمارها بحد السيف واجتياز المخاطر، والمغامرة بالنفس، ممتها حرفة الغزو والنهب والقتال في سبيل الحياة الكريمة.¹

ب- اصطلاحاً: يختلف معنى كلمة صعلوك بين اللغة والاستعمال الأدبي، ففي اللغة جاء معنى "الصعلوك": الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد، أما معنى الكلمة في الأدب، فإنه يدور حول التصعلك والغنى.²

والصعاليك لفظ يطلق على فئة من الفقراء اتخذوا لأنفسهم طريقة خاصة في حياتهم، فسلكوا سلوكاً له سمات معينة، أهمها: الأنفة والإباء والترفع عن الصغائر والدنيا وحقير الأعمال، معتمدين في حياتهم على القوة والبطش وانتهاز الفرص وخفة الحركة وسرعة الجري والهجوم الخاطف والسلب والنهب والفتك بالأعداء مع الحرص على البر والاهتمام بالمرضى والضعفاء والمحتاجين.³

وهذا البيت من الشعر يؤكد ذكر الفقر كمرادف للتصعلك:

فَمَا زَادَنَا بَغِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غَنَانًا وَلَا أَرْزَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ

وقد استعملت هذه الكلمة - صعلوك - بمفاهيم مختلفة منها ما جاء على لسان عمرو بن براق الهمداني:

تَقُولُ سُلَيْمَى: لَا تَعَرَّضْ لِنُتْفَةٍ وَلِيْلِكَ عَن لَيْلِ الصَّعَالِيكَ نَائِمٌ
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلُّ مَالِهِ حُسَامٌ كَلُونِ الْمَلْحِ أُنْيِضُ صَارُمٌ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الصَّعَالِيكَ نَوْمَهُمْ قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ الْمَسَالِمُ.⁴

تدل هذه الأبيات على المشاغبون أبناء الليل يسهرون لياليهم في النهب والسلب والإغارة، وهنا تخرج الكلمة عن الفقر إلى دائرة النص والسلب، والمفهوم هنا أن الصعاليك

¹ عروة بن الورد، الديوان، شرح: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، دط، دبت، ص ص 50-51.

² ينظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 27.

³ ينظر: علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، دط، 1998، ص 438.

⁴ ينظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 29.

هم طائفة من قطاع الطريق، يذهبون ويخطفون ويسرقون المال، كما يقول ابن الأثير: « يقال لصعاليك العرب ولصوصها نوبان لأنهم كالذئاب»¹.

يهد الفقر صفة بارزة ومميزة، فكل الصعاليك فقراء، حتى عروة بن الورد سيد الصعاليك "كان صلوكاً فقيراً مثلهم".
ويكثر في شعره وصف حالة الفقر، وما يتكبد في سبيل الغنى من جهد ومشقة من أجل نفسه وأصحابه.

ذُرِّيْنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرِ

فَسِرُّ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْتَمَسَ الْغِنَى تَعَشُّ ذَا يَسَارٍ أَوْ تُمُوتَ فَتَعْدِرَا

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنْ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ

هذا الفقر استبد حياة الصعاليك حمل لهم الجوع، وأقسى ما يحمله الإنسان هو الجوع، سئل أعرابي: ما أشد الأشياء؟ فقال: كبد جائعة تؤدي إلى أمعاء ضيقة.²

وكثر الحديث عن الجوع في شعر الصعاليك، حيث يقول السليك بن السلعة واصفاً الجوع.

وَمَا نَلْتُنْهَا حَتَّى تَصْعَلَكْتُ حُفْبَةً وَكِدْتُ لِأَسْبَابِ الْمَيْتَةِ أَعْرِفُ

حَتَّى رَأَيْتُ الْجُوعَ بِالصَّيْفِ ضَرَّنِي إِذَا قَمْتُ تَغْشَانِي ظِلَالٌ فَاسْدَفُ

ومن هنا يعد ألم الفقر، وحدة الجوع من الأسباب الرئيسية التي حركت شعور هذه الفئة، وجعلتهم قطاع طرق، يسلكون دروب القوة والتمرد من أجل الحياة.³

وقد تصور فلسفتهم في الحياة في أشعارهم، ومن ذلك ما يقوله عروة بن الورد:

لِحَيِّ اللَّهِ صَعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ أَلْفًا كُلُّ مَجْرَرٍ

يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلُّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرٍ

يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمَتَعَفِّرِ⁴

¹ المرجع السابق، ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 29-30.

² ينظر: عروة بن الورد، الديوان، ص 29.

³ ينظر: حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضاياها، وفنون، ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 2،

1424هـ - 2003م، ص 167.

⁴ عروة بن الورد، الديوان، ص 44.

فهو يدعو بالقبح واللعنة على الصعلوك الفقير الذي ليس له حظ من المال، فيقول: قبح الله هذا الصعلوك الذي إذا جنّ ليله تجده « مصافي المشاش ألفاً كل مجزر»، وهي صورة تمثل هذا الصعلوك كالكلب الذي يعيش على بقايا العظام حول المجازر، كما يكشف عن قسوة المجتمع الذي عاش فيه، والذي انتظم عروة، إن هذا الصعلوك يعد الغنى أن يملا بطنه، ولا يبالي بمن وراءه.

وكان الصعاليك مشهورين بالجري السريع، والهجوم الخاطف، والعراك العنيف، وانتهاز الفرص، وسرعة التصرف، ولكنهم كانوا يتمسكون بكثير من صفات البطولة والشهامة.¹

ومما يمثل سرعة الصعاليك في الجري ما يحكيه تأبط شرّاً عن نفسه حينما أسرته بجيلة ففر هارباً منهم، فكان الجري بسرعة هائلة لا تفوقها إلى سرعة الحصان الجامح أو الطائر الجارح، ثم أتبع ذلك بوجهة نظره في الرجل الكامل الذي يعتمد عليه ويستحق الاحترام والتقدير فيقول:

وَأَمْسَكْتُ بِضَعِيفِ الْوَصْلِ أَحْدَاقِ	إِنِّي إِذَا خَلَّةٌ ضَنَنْتِ نَبَائِلَهَا
أَفْقَيْتُ لَيْلَةً حُبْتُ الرَّهْطِ أَرْوَاقِي	نَجَوْتُ مِنْهَا نَجَاتِي مِنْ بَجِيلَةٍ إِذَا
بِالْعَيْكَتَيْنِ لَدَى مُعَدَى ابْنِ بَرَّاقِ ²	لَيْلَةَ صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِي سِرَاعِهِمْ

ويقول تأبط شرّاً: إذا تنكر صاحبي لواجب الصداقة، وانقطعت صلته، فأني أتركه ولا أبقى عليه، وابتعد بسرعة كما فعلت حينما نجوت من بجيلة عندما أثاروا جمعهم ضدي، وركضوا سراعاً ورائي أنا وصاحبي، فكنت أجري بسرعة النعام، والظباء، ولم يكن يفوقني في السرعة إلا الحصان الجامح، وكأني في اندفاعي في الجري فاقد الوعي.

ويعد تأبط شرّاً في أغربة العرب، كانت أمه حبشية سوداء، فورث عنها سوادها، وكان لإحساسه بالتفرقة الطبقية، وسوء منزلته الاجتماعية في عشيرته أثر قوي في تصعلكه، وهو يعرب في قصيدته القافية عن حياته وفلسفته، وهي تجري على هذه الشاكلة.³

¹ ينظر: علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ص439.

² تأبط شرّاً، ديوان، تح: علي ذو الفقار شاعر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984، ص104-105.

³ ينظر: علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ص441.

يا عَيْدُ مَالِكٍ من شَوْقٍ وإِيراقٍ ومَرِّ طَيْفٍ على الأهوالِ طَرَّاقٍ

يسري على الأئين والحياتِ مُحْتَفِيًا¹ نفسي فداؤك من سارٍ على ساقٍ¹

وهاهو الشنفرى الأزدي يتحدث عن سياسة الصعاليك وحياتهم، فيقول فيما يسوسهم

به رئيسهم:

وأم عيالٍ قد شهدتُ تَقْوَتَهُمُ إذا أَطْعَمْتَهُمُ أوتحت وأقلت

تخافُ عَلَيْنَا العيلُ إنْ هي أَكْثَرَتْ ونحن جِيع، أي آل تألت

وما إن بها ضن بما في وعائها ولكنها من خيفة الجوع أبقثت²

يقول الشنفرى: إن ولي أمرنا يقتر في الطعام، كان يقصد في توزيعه علينا، خشية

من أن يأتي وقت لا نجد فيه قوتًا، فيا لها من سياسة عجيبة إنّه لا يفعل ذلك بخلا منه وشحًا

بما لديه علينا، ولكن من خشية الجوع كان يلبي أمر جماعة فقراء ليس لهم مورد رزق

ثابت، هو في منتهى الوضوح والصراحة، ولا يخفي شيئًا، ولا يستتر عنهم أمرًا، وهو كامل

السلاح، وجعبته دائما عامرة، فإذا أحس خطرا تهيأ واستعد للقتال والنزاع وفي النهاية يقول

عن نفسه:

إذا ما أنتني ميئتي لم أبالها ولم تذر خالاتي الدموغ وعمتي

ولو لم أرم في أهل بيتي قاعدًا إذن جاءني بين العمودين حمتي³

يقول: لست حريصًا على الحياة، فإذا جاءني الموت فلن اعيأ به، ولن أرضني أن

يثير موتي مشاعر أحد حتى ولو كان من أرهف أقاربي شعورا نحوي فإني أومن بأن

الموت حتم، ولو أنني لم أخرج للكفاح وملاقة الأخطار، وجست نفسي في بيتي وبيت وبين

أهلي فسوف يدركني موتي ولن تستطيع أية قوة تبعده عني متى انتهى أجلي.⁴

❖ أقسام الصعاليك:

1- الخلفاء الشذاذ: وهم الذين نكرتهم قبائلهم، وتبرأت منهم، وطرتهم من حماها،

¹ ينظر: تأبط شرا، ديوان، ص103.

² ينظر: الشنفرى، الديوان، شرح وتح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1996، ص35.

³ ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص43.

⁴ ينظر: علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ص443.

وقطعت ما بينها وبينهم من صلة، وتحللت بذا من العقد الاجتماعي الذي يرتبط بينهما، ويبينهم، وكان الخلع يحدث لأسباب منها: الخوف على وحدة القبيلة وتماسكها أو تكرار جرائم الأفراد من الناحية الخلقية فيصبح وجوده سبة في شرف القبيلة.

ويجد الخليع نفسه أمام خيارين: إما أن يلجأ إلى الصحراء ليعيش فيها أخرى تحميه بحق القانون الجوار.

ومن الصعاليك من كان يستجير بقبيلة فترة من الوقت مستخدماً مثلها محطة راحة في حياته العنيفة.¹

2- طائفة " الأعربة" السود: الذين أتاهم السواد من جهة أمهاتهم الإماء، ولم ينسبهن أبؤهم إليهم لعدم صفاء دمائهم.²
كانت طبقات المجتمع الجاهلي تتألف من:

أ- **الصحراء:** وهم أبناء القبيلة من ذوي الدم النقي الذين ينتمون إلى أب واحد، وقد كانوا يمثلون "الاستقرائية" القبيلة، ولذلك كانوا يحرصون على أن يجمعوا الشرف من جهة الأم والأب.

ب- **العبيد:** ومنهم العربي الأسير، وغير العربي الرقيق الذين كانوا يجلبونهم من البلاء المجاورة في الجزيرة العربية.

ت- **الموالي:** وتتألف طبقتهم من العتاد، ومن العرب الأحرار الذين لجئوا إلى قبائل أخرى، وعاشوا في كنفها وحمايتها، وهذه الطبقة بين الطبقتين السابقتين.³

3- **طائفة الفقراء:** المتمردون الذي تصعلكوا نتيجة لتلك الظروف الاقتصادية المختلفة التي كانت تسود المجتمع الجاهلي، ومن هؤلاء عروة بن الورد.

هذه الطوائف تشترك في جميع أفرادها فقد توافقتهم الاجتماعي وهو الخلعة التي تشد الأفراد بعضهم إلى بعض ليكونوا مجتمعاً.⁴

¹ ينظر: مصطفى السيوبي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص196-197.

² ينظر: عبده البديوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، سنة 1988، ص316.

³ ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت، ص375.

⁴ ينظر: أحمد كمال زكي، شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، سنة 1969، ص27.

❖ أسباب الصعلكة:

لكل ظاهرة ي أي زمان ومكان منشأ ساعد على ظهورها، أي دوافع وأسباب، وظاهرة الصعلكة لم تأت من فراغ فهناك ظروف ودواعي ساهمت في ظهور الصعلكة:

1- **الفقر:** الفقر أسوء المعضلات التي واجهتها وتواجهها البشرية قديما وحديثا، وهي مولدة آثار شتى منها الثورة والجوع، والموت والتخلف وغير ذلك.¹

وما من شك أن الفقر المدقع هو الذي شجع الشعراء الصعاليك الشعراء الصعاليك لى الصعلكة ودفعه إلى التمرد لتأمين لقمة العيش.

وقد يحدث الشعراء الصعاليك عن صراعهم مع الفقر بتأبط شراً أنه بات لا يملك من الزاد إلى تعله تحول بينه وبين الموت حتى هزل ونحل وبانت أضلاعه من الضعف الشديد والتصقت أمعاؤه ببعضها البعض من شدة الجوع، حيث يقول:

قَلِيلُ إِخَارِ الزَّادِ إِلَّا تَعِ فَقَدْ نَشَرَ الشُّرْسُوفُ وَالتَّصَقَ المِعَادُ²

أما عروة بن الورد فقد بلغ به فقره أنه اضطر إلى رهن امرأته على الشراب في بني النضير، لأنه لم يكن يملك غيرها، على الرغم أنه كان عائداً من أحد غزواته.³

كما يرفض عروة بن الورد لأن يكون الثراء أساسا للسيادة، وهو بهذا يرفض منطلق المجتمع الذي يعيش فيه ويمثل ذلك رفض الصعاليك هذا المبدأ إذا يقول:

ما بالثراء يسود كل مسودُ وأصد إذ في عيشه تصريد

فإذا غنيت فإن جاري نيلهُ من نائلي ميسري معهود

وإذا افتقرت فلن أرى متشجعاً لأخفي أغنى معروفه مكود⁴

فهو حين رفض أن يكون الثراء هو أساس السيادة والتقدم، حاول أن يجعل للسيادة أساسا آخر، بالأخلاق في الغنى والفقر، فهو لا يكثر في يسره صاحباً، ولا يصد عنه في فقره، فينيل جاره من نيله ولا يرى متخشعا لغنى بخيل.⁵

¹ حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج1، رشاد بوسي، طبع في لبنان، د.ط، ص169.

² المرجع نفسه، ص170.

³ عبد الحلیم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1987، ص185.

⁴ عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد، شرح وتح أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص57.

⁵ حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي قضايا وفنون، ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 1424هـ-2003م، ص175.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن الفقر، وإن كان من الأسباب البارزة في الصعلكة إلا أنه لذاته لم يكن السبب الوحيد ولا الأهم أو المباشر، ولكنها أسباب كثيرة متفاوتة في أهميتها بالنسبة للصعلكة.¹

2- **الظلم:** خروج بعض الشعراء على المجتمع ووجدوا أنفسهم في وضع لم يستطيعوا فيه أن يتوافقوا مع أنفسهم في إطار العلاقات الاجتماعية وفقدوا التكيف مع الجماعة، وقد ساعد النظام الاجتماعي في القبيلة والعلاقات بين القبائل على غحساس بعض هؤلاء الشعراء الفرسان بالظلم، بدأوا برفض التشكيل الاجتماعي لمجتمعهم والثورة عليه، والبحث عن تشكيل جديد يتفق ورؤيته²، يقول الشنفرى:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحول³

فالشاعر يهرب بنفسه إلى عالم غي الذي يحياه مع جماعته ولكن هذا العالم ليس تشكيلا من البشر، إنه مجتمع من الوحوش الضواري.

وقد حاء انطلاق الشنفرى إلى التصعلك نتيجة إحساس بالظلم ورفض هذا الظلم، ويقول الشنفرى:

ولولا اجتناب الدام لم يبق مشرب يعاش به إلا لدَيِّ ومأكُل

ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الضيم إلا ريثما أتحوّل

فهو يرفض الضيم والذل، ولا يقبل أن يعيش في مجتمع يشعر فيه بالذل والهوان، وإذا كان رفض الذل والهوان يمثل سمة من سمات الفارس الجاهلي بوجه عام، فإنه يمثل سمة جوهرية من سمات الشاعر الصعلوك، وقد ارتبط رفض الذل برفض الفقر.⁴

3- **غياب الدولة والسلطة الجامعة:** لم يعرف الجاهليون الدولة الجامعة التي تبسط عليهم سلطانها، وتفرض قوانينها، وتنظم شؤونهم وتسير حياتهم، بل كان النظام القبلي هو السائد في الجزيرة العربية، وكلما كانت القبيلة قوية كلما كانت أقدر على بسط سيطرتها وفرض

¹ عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص62.

² عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص42.

³ شرح ديوان الشنفرى، جمع وشرح وتح: محمد نبيل طريفي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص64-65.

⁴ حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، 165-166.

رؤيتها على غيرها، فأصبحت القبيلة بنظامها هي السلطة المسيطرة.¹

فمثلا القبيلة لها الفرد الخضوع لرأيها الجماعي، فلا يجوز له الخروج على قرار تتخذه قراراً فردياً دون أن تجيز القبيلة له ذلك إلا تعرض للطرد أو الخلع، الذي ربما يأخذ في بعض الأحيان طابع الإعلان الرسمي في المواسم والأسواق²، فالقبيلة لا ترضى أن تتعرض وحدتها للتمزق، ولا لخلق جفوة ربما أدت إلى حروب دامية بينها وبين القبائل الأخرى استجابة لنزوة من نزوات بعض أفرادها.

وقد أعطت هذه الصلة القوية التي تجمع بين الفرد والقبيلة التي يمثلها قول الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهاناً

أعطت هذه الصلة، مفهوماً مختلفاً للعدالة، كمفهوم مجرد كما نعرفه اليوم، ففكرة العدالة خاضعة لديهم لمفهومهم الذي يخضع للحاجة والمصلحة، مما انعكس بالتالي على شدة الإيمان لدى القبيلة بنفسها والحرص على وجودها واستمرارها بكل الوسائل والأسباب، ورغم ذلك وجدت فوارق طبقية كانت وراء بذور التمرد التي أخذت طريقها إلى الظهور.³

4- طبيعة الأرض والحياة في الجزيرة العربية: لقد كانت البيئة الطبيعية التي تعيش في

نطاقها القبيلة، بالإضافة إلى الأحوال الاقتصادية، تشكلان معاً، الأساس الأول للحياة الاجتماعية وما يكون بها من تفاوت طبقي، ولقد كانت هذه المنطقة من شبه الجزيرة من الوجهة الجغرافية والاقتصادية، أصدق مثال على ذلك.

فالصحراء تغطي معظم أرجائها. وتعني الصحراء دائماً، ندرة المطر واحتباسه، والرحيل الدائم لسكانها بحثاً عن الحياة حيث يكون الكلاً ويكون الماء.

وعلى الرغم من سيطرة الصحراء التي تحيط بها سلاسل الجبال القاحلة على معظم جغرافية هذا المنطقة فضلاً عن رياح السموم السوافي، فإن ذلك لم يحل بين وجود مناطق تتمتع بجودة التربة وطيبة الهواء والمرعى.⁴

¹ عبد الحلیم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 46.

² يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، دار المعارف، القاهرة، 1966، ط2، ص 92-95.

³ أحمد كمال زكي، شعر الهذليين، الكاتب العربي، القاهرة، 1969، ص 74.

⁴ عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية د.ط، د.ت، ص 48.

ولا عجب أن نجد في شعر العرب عامة، والصعاليك خاصة ما يصور لنا جانباً من طبيعة البيئة القاسية التي كانوا يحيون فيها، فهذا امرؤ القيس يصف وادياً مجدياً مقفراً لا حياة فيه، تعوي فيه الذئاب الضارية فيقول:

ووادٍ كجوف العير قفر قطعته
فقلتُ له لما عوى إنَّ شأننا
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته
ومن يحترثُ حرثي وحرثك يهزل¹
به الذئب يعوي كالخليع المعيل
طويلُ العنا إنْ كُنْتَ لَمَّا تحوّل

ومهما يكن فإن الصعاليك أصحاب مبادئ رفيعة وكريمة، جعلتهم يتمردون على تقاليد القبيلة العمياء، فرفضوا الأعمال التي كان يقوم بها العبيد وأشباههم، ويألف السادة من القيام بها، خدمة الإبل والقيام بأمرها، وهذا دليل على قوة نفسية وكبر في الذات، والقدرة على مجارات الآخرين في أعمالهم الفكرية والعقلية، حتى لو كانوا فقراء معدمين، وان قوتهم المعنوية تساوي قوة الأغنياء المادية، وبالرغم من حالة الفقر التي كانت تستوطن حياة الصعاليك، فإنهم أصحاب مبادئ، ويضرب بهم المثل بالكرم والجود.²

وكان الصعاليك يتصفون بالشجاعة، وهذه الصفة رمت الرعب في قلب الأعداء حتى أن فارساً من فرسان الجاهلية وهو "عمرو بن معد يكرب"، يصرح بأنه لا يخشى أحداً من فرسان العرب إلا أربعة، أحدهم السليك بن السلكة، ومن الصفات المهمة عند الصعاليك عوضاً عن قوة الجسد هي سرعة العدو، فيقال: "أعدى من الشنفرى" و"أعدى من السليك" و"أمضى من سليك المقانب" وتصف مصادر الأدب بأنهم أشد الناس عدواً.³

¹ ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص33.

² ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، دط، دبت، ص32.

³ المرجع نفسه، ص33.

الفصل الأول

شعر الصعاليك وعلاقته بالفضاء الطبيعي

أولاً: تعريف الفضاء لغة واصطلاحاً.

ثانياً: علاقة التمرد بالفضاء الطبيعي.

ثالثاً: موضوعات شعر الصعاليك.

رابعاً: أهم الظواهر الفنية واللغوية والعروضية في شعرهم.

تقوم دلالة هذا المصطلح إلى الحديث عن مكنم الوجود الإنساني، هذا الوجود الطبيعي يتحقق في ظل فضاء معين، حيث يمارس الإنسان نشاطه اليومي، والفضاء شرط الوجود الإنساني، وتعيينه الذاتي لا يتحقق إلى به.

❖ تعريف الفضاء لغة واصطلاحاً:

أ- لغة: جاء في معجم لسان العرب فضاء: الفضاء: المكان الواسع في الأرض، والفعل فضاءً يَفْضُو فُضُوًا فهو فاضٍ، قال رؤبة:

أَفْرَحَ قَيْضُ بَيْضِهَا الْمُنْفَاضِ، عَنكُمْ، كِرَامًا بِالْمَقَامِ الْفَاضِي

وقد فض المكان وافضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، واصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيّزه. قال ثعلب بن عبيد يصف نحلاً:

شنت كَنَّةَ الأوبار لا القُرَّ تَنَّقِي ولا الذُّبَّ تَحْشَى، وهي بِالْبَلَدِ الْمُفْضِي

أي العراء الذي لا شيء فيه.¹

فالفضاء هو مفهوم للمكان العاري الذي لا يشغله ولا يملؤه شيء، فهو يدل الخلاء والفراغ والاتساع، فالفضاء: الساحة وما تسع من الأرض واتسع.

وقول أبو علي القالي: الفضاء سعة، ومنه المفضاة والمفضى: المتسع.²

والفضاء عند الفيروز أبادي لا يختلف معناه عما جاء سبق قوله حيث يعرفه: الفضاء الساحة واتسع من الأرض.³

وقد ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس « فضى والضاد والحرف المعتل أصل

صحيح، يدل على انفتاح في شيء واتساع من ذلك: الفضاء، المكان الواسع».⁴

أمّا في معجم الوسيط: فضا المكان، فضاء، وفُضُوا: اتسع وخلا والشجرُ بالمكان

فُضُوا: كثر، وفلان دراهمة: لم يجعلها في صرة...⁵

¹ أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، د.ت، المجلد 11، ص194.

² محمد الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الثامن، دار الكتب العلمية، ط1، 2007، ص117.

³ الفيروز أبادي، (محمد الدين محمد)، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، المجلد 4، ص435.

⁴ ابن فارس، ابن الحسن أحمد، مقاييس اللغة، تدقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، المجلد4، ص508.

(الفضاء): المنفرد، يقال: سهمٌ، فضاءً وبقيت فضاءً: وَحْدِي، وتركت الأمر فضاءً: غير مُحَكَّم، وأمرهم فضاءً بينهم: سواء بينهم.

(الفضاء): ما اتسع من الأرض، والخالي من الأرض، ومن الدار: ما اتسع من الأرض أمامها، وما بين الكواكب والنجوم من مسافات لا يعلمها إلى الله (محدثة) (ج) أفضية.¹
ب- اصطلاحاً: لقد تعدد المفهوم الاصطلاحي للفضاء، ومن أهم التعريفات الواردة أنه

يعد شرط الوجود الإنساني الذي لا يحدد ذاته إلا به وفيه، ويمارس الحضور والغياب من خلاله، فالشخص حينما يحضر يحل في الفضاء وعندما يغيب فهو ينتقل ر إلى فضاء آخر.² وهو فضاء لفظي، يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي لا تستطيع اللغة

التعبير عنها. ولما كانت اللغة عاجزة عن تشييد فضاءها الخاص بسبب طابعها المحدود، فإن الراوي يدعو إلى تقوية سرده بوضع طائفة من علامات الوقف داخل النص المطبوع.³

الفضاء عنصر مهم في ترتيب العلاقات الاجتماعية والثقافية، وتنظيم أفعال الكائنات، ووعي سلوك الأفراد والجماعات، والتي تنبه إلى نوع من اختراقات الفضاء لنا لأجسادنا، لأفكارنا لوجداننا، ومعارفنا، ولقد شكّل الفضاء على الدوام محايتنا للعالم، تنظم في الكائنات والأشياء والأفعال، معياراً لقياس الوعي والعلائق والترتيبات الوجودية والاجتماعية والثقافية ومن ثم تلك التقاطبات الفضائية، التي انتبعت إليها الدراسات الأنتروبولوجية في وعي وسلوك الأفراد والجماعات.⁴

كما يعرف الفضاء أيضاً بأنه ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة، لأنه يعيش على عدة مستويات من طرف الراوي بوصفه كائناً مشخصاً وتخليئاً أساساً، ومن خلال اللغة التي يستعملها، فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ، الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة.⁵

¹ إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، الجزء الأول، اسطنبول، تركيا، د.ط، د.ت، ص 693-694.

² الشريف جبيلة، مكونات الخطاب السردي مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديثة إريد، الأردن، ط1، 2011، ص39.

³ فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص129.

⁴ حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1، 2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (المغرب)، بيروت (لبنان)، ص05.

⁵ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص24.

فالإلباس الواقع بين المصطلحات النقدية الدالة على الفضاء يدور في أغلب الأحيان بين مصطلحين اثنين هما (الفضاء، المكان) لدرجة أن بعض الدارسين لا يكادون يفرقون بينهما وهذا ما يقرّ به زهير الجبوري في كتابه "ياسين النصير المكانية" في الفكر والفلسفة والنقد حيث يقول: المكان/ الفضاء هما اهتم النقد الغربي، وتناقله النقاد العرب، وهو شكل نقدي يعالج المكان/ الفضاء ويوصفه ويحدده بمفاهيم نقدية جديدة.¹

أما عبد المالك مرتاض فأثر استخدام مصطلح "الحيز" وعرفه بأنه وسط منسجم وغير محدود تقع فيه الأشياء اللطيفة الشديدة الحساسة، فهو أوسع من المكان وأقل من الفضاء.

وبالنسبة لعبد الحميد بورايو جمع بين لفظتي "حيز مكاني" في دراسته المعنوية بالمكان والزمان في الرواية الجزائرية.²

وحسب الدكتور لحميداني فإن الأشكال التي يتخذها الفضاء يمكن حصرها فيما يأتي:

• الفضاء الجغرافي (L'espace géographique).

وهو مقابل لمفهوم المكان، ذلك ان الإنسان في علاقة دائمة به، والمكان يتمتع بالكينونة التي يحرم منها الزمان، فللمكان وجود على مستوى المفهوم واللغة، بينما ليس للزمان وجود على مستوى المرجع بقدر ما له وجود على مستوى المفهوم واللغة. وتعتقد "جوليا كريستيفا" علاقة بين الفضاء الجغرافي ودلالاته الحضريّة، ذلك أن المكان المحدد يفترض أن تكون له ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم، وهو ما نسميه "إيديولوجم" (Idéologème) العصر، بمعنى الطابع الثقافي العام في عصر من العصور.³

• الفضاء النصي (L'espace textuel).

وهو الطباعة أي مساحة السواد فوق البياض، ويدخل في ذلك صورة الغلاف،

¹ زهير الجبوري، ياسين النصير المكانية في الفكر والفلسفة والنقد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2008، ص23.

² عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين إلى أين، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1983، ص101.

³ حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2004، ص53.

وتنظيم الفصول، وتغيرات الكتابة، وقد اهتم "ميشال بيتور" بهذا الفضاء، فتحدث عن طول السطر، وعلو الصفحة، وحجم الكتابة، كما أشار إلى الكتابة الأفقية في الصفحة والكتابة العمودية، والصفحة داخل الصفحة.¹

• الفضاء الدلالي (L'espace sémantique).

وهو مرتبط بالصور المجازية، وقد أشار إليه "جيرار جبنيت" في مؤلفه (صور) (Figures) ويرى بأن هذا الفضاء ما هو إلى ما ندعوه "صورة".²

• الفضاء باعتباره منظورا (L'espace comme vision).

وهو يشير إلى طريقة هيمنة الكاتب (الرواي) على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة الخشبة في المسرح.

وقد أوضح الدكتور حميداني النوعين الأخيرين لهما مباحث أخرى، ويمكن إرجاع الأول منهما إلى موضوع الصورة في الحكى، وإرجاع الثاني إلى موضوع زاوية النظر. ومصطلح الفضاء عنده مجمع الأمكنة، التي تقوم عليها حركة الحكى المتمثلة في سيرورة الحكى، سواء تلك التي تم تصويرها مباشرة أم تلك التي تدرك بالضرورة، بطريقة ضمنية، والفضاء في هذا الظل أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون للفضاء.

ومن خلال هذه التعاريف نجد بأنه تعددت مصطلحاته فمنهم من يطلق عليه مصطلح المكان ومنهم من يطلق عليه مصطلح الحيز.³

❖ علاقة التمرد بالفضاء الطبيعي:

الحياة في الصحراء العربية هي كفاح ضد الطبيعة، خاصة في ظل انعدام الإمكانيات والوسائل اللازمة لمواجهة قسوتها، وحتى وإن توافرت هذه الوسائل فلن يكون بمقدور السواد الأعظم من سكانها الاستفادة منها، فالفقر سمة متميزة لهؤلاء، وعلى عكس ما قد يخطر بالنا أن الصحراء هي حر وجاف وقحط على طول الخط، فالواقع يقول إن الصحراء كثيرا ما تشهد العواصف العاتية والأمطار الجارفة وموجات البرد القاسية، أي أنها تتميز

¹ ميشال بيتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطينوس، منشورات عويدات، ط1، 1971، ص 122-128.

² ينظر: حميد حميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص61.

³ سليم بركة، تريفيف السرد الروائي الجزائري، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1435هـ-2014م،

بالنقيضين وفي كلاهما يعاني العربي الأمرين، وخير من صور هذا التناقض في قصيدة واحدة الشنفرى حيث يقول واصفاً ليلة شديدة البرودة.

وَلَيْلَةٌ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا وَأَقْطَعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَنْتَبَلُّ¹

حيث يضطر صاحب القوس إلى إشعال قوسه ونبله التي يدافع بها عن نفسه لكي يستدفيئ من قسوة البرد، وكما نعلم فإن السلاح هو أعز وأغلى ما يملك الفارس، ثم يقول أيضاً واصفاً يوم شديد الحر:

ويومٍ مِنَ الشَّعْرِ يذوبُ لَعَابُهُ أَفَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَنْمَلُّ²

وهنا تبدوا الأفاعي والحيات برغم تعودها على شدة الحر والهجير، تضطرب وتتململ لعدم قدرتها على تحمل حرارة الشمس الحارقة...²

فبالصحراء فضاء متسع رحيب، يملأ جوانب النفس خشية ورهبة، وبحر من الرمال المختلفة الألوان لا ساحل له، وجبال جرداء سامقة يرتد عنها البصر وهو حسير، وصخور صماء عانية، وشمس قوية محرقة تصب شأبيب من شواظ يتلظى لهباً، وريح زفوف، وسيول متدفقة، وما عذب، وظل كريم.³

أي أن هذه الطبيعة أوجدت بقرب المناطق المجذبة القاحلة التي تنعدم فيها شروط الحياة، مناطق أخرى عرفت الخصب والماء، فوفرت لأصحابها أسباب الحياة المرهفة الكريمة، ووضعت عنهم عناء الشغل بين البوادي بحثاً عن الماء والكلأ لأنعامهم وهذا يعني أن الفاصل بين الجنة والجحيم بالنسبة لذلك الأعرابي لم يكن إلا مساحة قليلة، وهو بعد ذلك ينظر إلى هؤلاء المنعمين في لواحات الباسقات ثم ينظر لحاله فيدرك بأن هذا القدر الذي جعله يعيش في بيئة صعبة مجدية إنما هي قدره وحده، وأن الأرض مثلما قست عليه وعلى أمثاله فقد أنعمت على غيره وأغدقت عليهم.

ضف إلى ذلك فإن المجتمع الذي كان يعيش فيه هذا الأعرابي لم يكن ليختلف كثيراً عن البيئة الصحراوية المتناقضة، فقد غابت عن هذا المجتمع العدالة في توزيع الثروة،

¹ الشنفرى، الديوان، شرح وتح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1996، ص69.

² المرجع نفسه، ص71.

³ عمر الدسوقي، الفتوة عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط4، دبت، ص21.

فكان هناك الغني الفاحش الثراء، وكان هناك الفقير الذي يموت من شدة الجوع إن لم يمن عليه ذلك الغني ببعض رزقه.

ولا يخفى على الدارس ما في هذه البيئة من تضاد وتنافر، فمثل هذه البيئة لا بد أن تكون لها بصماتها الواضحة على الحياة الاجتماعية من جهتين على الأقل:

الأولى: تتمثل في تركيبة المجتمع ذاته من حيث طبقاته وتكوينها، أما الثانية: ما يترتب على هذا التفاوت الاجتماعي بين الطبقات من أثر نفسي في حياة الفرد ذاته.¹

وكما كانت هذه البيئة الطبيعية عاملاً في وجود الفقر، كانت عاملاً في إحساس الفقراء إحساساً قوياً به²، فكان من الطبيعي أن يظهر عند بعضهم ذلك الإحساس بعدم الرضى عن هذه الحياة، والشعور بالظلم الحاد وغياب العدالة، ومن ثم عملوا على تغيير واقعهم ولم يرضوا بالدون في عيشهم وهذا ما حدث لشعرائنا الصعاليك فقد وضعهم مجتمعهم على الهامش وسواهم بهؤلاء المستضعفين من ذوي النفوس الصغيرة، وهذا ما لم تقبله تحولهم ولم تجزه عزة نفوسهم، فكان الإحساس بالغربة والنزوع إلى التمرد شيئاً لا يمكن تجاهله أو الغض من شأنه، وكان هناك أيضاً من الجانب المقابل اللامبالاة والاستسلام والتخاذل، وهذا شيئاً طبيعياً أن يعيش النقيضان دائماً وباستمرار.³

ولم يقف تأثير البيئة على توليد الإحساس بالرغبة في التمرد والثورة على المجتمع فقط، بل هيئات هذه الطبيعة عوامل مساعدة على هز التمرد بأن وفرت لهؤلاء الثوار وقطاع الطرق جبلاً وحجوراً ساعدتهم على التخفي والهروب من الملاحقة، كما أن شساعتها ووعرة مسالكها تجعل من الذين يطلبونهم يرهبون الدخول في تلك المتاهات المخيفة، وليس غريباً أن يقتحم ذلك المتمرد مجاهلها، فهو شخص لا يأبى الموت ولا يهابه، وما خروجه عن المجتمع رغم علمه ما في ذلك من مهالك إلا دليل على ذلك.

ونحن نعلم أن بعض تمكن من ابتكار طرق ساعدتهم على مجابهة عوامل الصحراء، فإنه يحكى عن السليك بن السلكة أنه كان يضع الماء في بيض النعام، ثم يقوم بدفنه، ثم يعود إليه بعد ذلك ليرتوي منه، وكان يضرب به المثل في التعرف على المناطق وتحديد المعالم

¹ عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، سنة 2002، ص 49-50.

² ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 69.

³ ينظر: عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 56-57.

والقيافة، فقد قيل عنه "أدل من قطة" حيث كان يأتي حتى يقف فوق موضع دفن البيضة وليس هناك علامة تعين أو تعلم مكانها.¹

كان الصعلوك متمردا على مجتمعه، ولكنه لم يكن ثائراً رافضاً قيم هذا المجتمع، ذلك أننا نجد في شعره آثاره القبلية، ولعل ذلك يرجع إلى أنها رواسب من حياتهم الماضية في ظلال القبيلة، أو أن شعره قبل تصعلكه، فما أحسن الرواة الفصل بينهما، أما موضوعات شعر الصعاليك فقد اختلفت، وسنولي عنايتنا لأهم هذه الموضوعات.²

❖ موضوعات شعر الصعاليك:

1- أحاديث المغامرات:

إن من يطلع على شعر الصعاليك الجاهليين يلفت نظره كثرة حديثهم عن مغامراتهم، ووصفهم لكل ما يحدث لهم في أثنائها، وقد اتخذوا من الغزو، والإغارة والسلب، والنهب شعاراً لحياتهم، فقد كان من الطبيعي جداً أن يكون حديث المغامرات أكبر يعنى به شعرائهم، إذ كانت المغامرة هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم، فالمغامرة بالنسبة لهم هي الحياة نفسها، وهي الواجهة التي يطلون من خلالها على العالم الآخر الذي خرجوا عليه ألا وهو عالم القبيلة، وحديث المغامرة يعبرون من خلاله عن فلسفتهم لتلك الحياة التي اختارونها لأنفسهم وهذا ما عبّر عنه تأبط شراً، إذ يقول:

فيوماً على أهل المواشي وتارةً لأهل ركيب ذي تميلٍ وسُنْبُلٍ³

فهذا الشنفرى يخرج في عدّة من فهم فيهم عامر بن الأخنس وتأبط شراً والمسيّب وعمرو بن بريقة وغيرهم، وهم في طريق العودة من الغارة اعترضت لهم خنعم، ودارت بينهم معركة انتهت بانتصار الصعاليك، فإذا ما انتهت المعركة فرغ الشنفرى إلى فنه يحدثنا عنها حديثاً رائعاً فيه دقة وتفصيل، يبدأ منذ أن أعلن امرأته أنه خارج لها، غير مبال بحياته أو حريص عليها، وهو يعلم أن أجله لا بد آت في يوم من الأيام، إذ يقول في أبيات شعرية:⁴

دَعِينِي وَقُولِي بَعْدُ مَا سَبْتِ إِنْبِي سَيُعَدُّ بِنَعْشِي مَرَّةً فَأَغِيْبُ

¹ ديوان السليك بن السلكة، ص45.

² مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي في الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص199.

³ بشار سعدي إسماعيل، شعر الصعاليك الجاهليين، في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، دار مجدلاوي عمان، الأردن، ط1، 2014-2015، ص70.

⁴ ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص176-177.

ثَمَانِيَةٌ مَا بَعْدَهَا مُتَعَبِبٌ

خَرَجْنَا فَلَمْ نَعْهَدْ وَقَلَّتْ وَصَاتُنَا

مَصَابِيحُ أَوْ لَوْنٌ مِنَ الْمَاءِ مُذْهَبٌ¹

سَرَاجِينَ فَنِّيَانٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ

في البيت الأول لا يطيل في هذا الحديث لأنه في لهفة أن يدرك رفاقه، بعد أن ترك إمرأته مسرعا إليهم في لهفة شديدة، بعدها ينتقل إلى الحديث عن خروجهم في مغامراتهم، وهو يذكر أنهم كانوا ثمانية، وهم جميعا فتيان، كأنهم الذناب، وجوههم مشرقة لا تبدو عليهم مظاهر جزع أو خوف.

وهذا السليك يخرج مع رفيقين له يريدون الغارة في عشية فيها ضباب ومطر، ويأتي سليك إلا أن يكون بطل هذه الغارة، فيخلف صاحبيه وراءه، حتى إذا خرج رب البيت بإبله ليُعشِّبها تبعه السليك، فإذا نام غطى وجهه، وصاح بالإبل فطردها حيث ينظر صاحبها، حتى إذا إطمأنوا فرغ السليك لفنه مسجلا هذه المغامرة في مقطوعة رائعة:²

وعاشية راحت بطاننا ذعرتها بسوط قتيل وسطها يتسيق

كأن عليه لون برد مخبر إذا ما أتاه صارم يتلهف³

أما عروة بن الورد فإن من أبرز مقطوعاته الشعرية التي كان يحث فيها الناس

على الخروج للغزو والإغارة بحثا عن المال والغنائم، مقطوعته التي يقول في مطلعها:

دعيني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير

وابعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير

وإذا كانت طبيعة حياة الصعاليك القائمة على الغزو والإغارة، قد فرضت على أشعارهم حديث المغامرات، والذي اتسم بالتغني بشجاعتهم، وهو مظهر من مظاهر فروسياتهم، التي فرضتها عليهم طبيعة حياتهم.⁴

¹ الشنفرى، الديوان، شرح وتح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1996، ص27.

² المرجع نفسه، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص178-179.

³ المرجع السابق، ص179.

⁴ المرجع السابق، بشار سعدي إسماعيل، شعر الصعاليك الجاهليين، ص72.

2- وصف السلاح:

من الطبيعي أن يتحدث الصعلوك عن سلاحه، فالسلاح امتداد لقوة قلبه، وقوة جسده ولا يخرج صعلوك لتستقبله الصحراء بوحشتها ومفاجأتها دون سلاح، فالشنفري له من صحبته الجديدة ما يغنيه عن قومه الذين خلعوه.

وإني كفاني فقد ما ليس جازياً بحسني ولا في قربه متعلل

ثلاثة أصحاب، فؤاد مشع وأبيض إصليت، وصفراء عيطل¹

والأسلحة التي يصفها الشعراء الصعاليك هي تلك التي كان يعرفها العرب في العصر الجاهلي، سواء منها أسلحة الهجوم: السيف، والرمح، والقوس، والسهم، أو أسلحة الدفاع: الدرع، والترس، والمغفر، ويلج الشعراء الصعاليك على الحديث عن هذه الأسلحة إلحاحاً شديداً، فهي كل يملكون في حياتهم المتمردة.²

فالسيف هو السلاح الأول الذي كان يحرص كل عربي على حمله واستعماله، والأسلحة الأخرى تعتبر إضافة بالنسبة إليه، ومجالها القتال، أما السيف فملازم للفرد دائماً، سواء في الحرب أو السلم.³

وهذا تأبط شرا يعرض سيفه فيقول:

فطارَ بِقَحْفِ ابْنَةِ الْجِنِّ ذُو سَفَاسِقَ قَدْ أَخْلَقَ الْمُحَمَّلَا

إِذَا كُلَّ أَمْهِيئُهُ بِالصَّفَا فحَدَّ وَلَمْ أَرِهِ صَيْقَلًا⁴

ونجد أيضاً في هذا المجال عروة بن الورد، يتحدث عن بياض سيفه فيقول:

يُطَاعُنْ عَنْهَا أَوْلَ الْقَوْمِ بِالْقَتَا وَبِيضِ خَفَافٍ، ذَاتِ لَوْنٍ مُشْهَدٍ

وإذا انتقلنا إلى شعر السليك بن السلعة نجد أنه قد جاء هو الآخر مقترنا بالحديث عن مغامراته، فلم يخرج عن نطاق حديث الشعراء عصر ما قبل الإسلام، في الإشارة إلى كثرة مضاربتهم لأعدائهم وما يتركوه في أجسادهم من أثر الطعن⁵، إذ يقول:

وضاربت عنه القوم حتى كأنه يصعد في آثارهم ويصوب

¹ ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص201.

² ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص189.

³ عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، دط، 1987م، ص216.

⁴ تأبط شرا، الديوان، تح عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 2003، ص49.

⁵ ينظر، بشار سعدي إسماعيل، شعر الصعاليك الجاهليين، ص74-75.

فضاربتُ أولى الخيل حتى كأنما أميلُ عليها أيدعُ وحبیبُ
ويبدوا واضحا أن حديثه لا يعدوا أن يكون حديث المقاتل الحريص على بيان
شجاعته، وقوة يأسه وهو يخوض غمار الحروب.¹

ومن أكثر الأسلحة التي شكلت حضورًا في شعر الشنفرى الأزدي هي القوس، التي
وصفها وصفًا دقيقًا، فذكر صنعها، وسهامها وطريقة بريها، إذ يقول:

وأنت لو تدرين أن ربَّ مشربٍ مخوفٍ كداءِ البطن أو هوا خوفٍ

وردت بماتور يمانٍ وضالَةٍ تخيرتها مما أريش وأرصفٍ²

أما الرماح فلم يصفها غير قلة أشهرهم عروة بن الورد، وذلك أنها سلاح الفرسان،
وكان عروة صعلوكًا فارسًا.³

إذ يقول عروة في شعره وهو يرسم صورة رائعة لأصحابه لأصحابه يطاردون إبلاً
وقد صور هذا السلاح بصدق وروعة لأنه سلاح الفرسان:

ستفزع، بعدَ اليأس، من لا يخافها كواسعٍ في أخرى السوام المنفر

يُطاعن عنها أولَ القوم بالقنا وبيضِ خفافٍ، ذات لونٍ مشهدٍ

3- أحاديث الفرار والعدو:

يتحدث الشعراء الصعاليك كثيرا عن فرارهم وهروبهم، ويتكلمون عنه دون أي
حرج أو خجل، وهذا طبيعي لمثل أولئك الناس الذين يعتمدون في حياتهم على الغزو، فإنهم
يفرون عند الصعاب ليعيدوا الكرة مرّة ثانية ويصورون في فرارهم سرعة العدو ويعتزون
به.⁴

ومن أمثلة شعرهم على الفرار مقترنًا بالعدو أبيات الشنفرى التي صور فيها مغامرته، وفيها
يقول:

وليلة نحس يصطلى ربطُ وأقطة اللائي بها يتنبلُ

دعت على غطش وبغش وصحبتى سعار وإرزيز ووجر وإفكلُ

¹ السليك ابن السلكة، أخباره وشعره، دراسة وجمع، تح: حميد آدم ثويني، وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني،
بغداد، ط1، 1984م، ص46.

² أبي مؤرخ عمر الدوسي، شعر الشنفرى الأزدي، تح علي ناصر غالب، راجعه عبد العزيز بن ناصر المانع،
أشرف على طبعه محمد الجاسر، من مطبوعات مجلة العرب، دط، دبت، ص105.

³ ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص201.

⁴ ينظر، عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص233.

فأيمت نسوانًا وأيمت إدةً
وعدت كما أبدأت والليل أليئ
وأصبح عني بالغميض جالسًا
فريقان مسؤول وأخر يسأل

وهي صورة تبني عن مهارات الصعلوك في فتكه وبطشه، ومهاراته في التسلُّ
والمغامرة والتسلل والهرب، ومهارته في العدو والفرار.¹

ويعدّ تأبط شرًّا من أبرز الشعراء الصعاليك الذين تحدثوا عن سرعة عدوهم إذ يقول:

لا شيء أسرع مني ليس ذا عذر
وذا جناحٍ بجنب الرّيد خفافٍ
حتى نجوتُ ولما ينزعوا سلبي
بوالهٍ من قبيضٍ الشدّ غيداقٍ²

ونجد أيضًا تأبط شرًّا في قصيدة له عن فراره وتركه رفيقًا له بأنّه ما كان ليستطيع
أن ينتظر حتى يدهمه مطارده الذين كانوا وراءه كالنحل، ولا أن يبطيء في عدوه حتى
تصيبه السهام التي كان يرسلونها خلفه فترديه وهو لهذا يثني جسده، ويسرع بعيدا عن الشر
كأنّه الظليم المذعور:³

ولم أنتظر أن يدهموني كأنهم
ورائي نحل في الخلية واكنأ
ولا أن تُصيبَ النافذاتُ مقاتلي
ولم أكُ بالشدّ الذليق مداينًا
فأرسلت مشيئًا عن الشر عاطفًا
وقلت تَرَحْرَحُ لا تكوننَّ حائنا
وحَحَّحْتُ مشعوفَ النجاءِ كأنني
هَجَفُ رَأى قَصْرًا سَمالًا وادجنا⁴

وفي هذه الأبيات يصف الشنفرى صورة من صور العدو والمسابقة التي دارت بينه وبين
القطا وهو نوع من الطيور المشهورة بالسرعة، في الوصول إلى بقعة الماء، فيقول:

وتشربُ أساري القَطَا الكدْرُ بَعْدَمَا
سَرَتْ قَرَبًا أَحْنَاؤُهَا تتصلصلُ
هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلْتُ
وشمّرُ منّي فارطُ متمهلُ
فَوَلَيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ
يُبَاشِرُهُ مِنْهَا دَقُونٌ وَحَوْصَلُ

الشاعر هنا نجده يبالغ في تصويره لصورة عدوه، وفي سباقه مع القطا، وأصبح
متقدما عليها دون أن يبذل كل جهده، بل كان متمهلا، لأنه متأكد من فوزه.⁵

¹ ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص202.

² ينظر، بشار سعدي إسماعيل، شعر الصعاليك الجاهليين، ص79.

³ ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص208.

⁴ تأبط شرا، الديوان، ص73-74.

⁵ الشنفرى، الديوان، ص66.

ومثلما تحدث الشعراء الصعاليك عن عدوهم، تحدثوا عن فرارهم دون أن يجدوا غضاضة أو انتقاضا يدعوهم إلى الخجل من هذا العمل¹، وذلك لأن الفرار بالنسبة لهم هو أحد أهم أسلحتهم، ويرى أحد الباحثين أنّ ما دعا الشعراء الصعاليك إلى التغيّي بالفرار، دون أن يجدوا في حديثهم ذلك أية غضاضة، يعود مرده إلى أن أهم قيمة تحارب الصعاليك في سبيلها هو الحفاظ على حياتهم، وبقائهم في مجتمع أنكر عليهم حقهم في الحياة والبقاء.²

4- أحاديث التصعك والتشرد:

وهو أكثر الموضوعات التي تناولها الشعراء الصعاليك في أشعارهم، فغالبا ما يجيء حديثهم عنها مقترنا بحديثهم عن غاراتهم وغزواتهم.³ ومن الشعراء الذين تحدثوا عن التشرد نجد تأبط شعرا، يقول في قصيدة له يفخر بتشرده وأصبحت الوحشة أنسة الأنيس والصحراء المجهولة وطنه الوحيد ويهتدي فيها كما تهتدي أم النجوم في تداخلها ببعضها البعض:

يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك⁴

نجد الشعراء الصعاليك يفتخرون بنشردهم، حيث وقفوا أيضا عند الحيوانات السريعة في الصحراء ووصفها وصفاً دقيقاً، ففي شعر عروة بن الورد وصف للأسد، فيقول:

تبغاني الأعداء إِمّا إلى دَمٍ وإمّا عراض الساعدين مَصَدْرًا
يَظُلُّ الأباء ساقطاً فوق مَتْنِهِ لَهُ العَدْوَةُ الأولى، إذا القَرْنُ أَصْحَرَ
كَأَنَّ أحوَاتَ الرّعدِ رُزءٌ زئيرُهُ منّ اللاءِ يسكُنُ العرينَ بَعَثْرًا

فهو يصف الأسد بأنه عريض الصدر، ويشبه صوت زئيره بصوت الرعد.⁵

يمتلىء شعرهم ببيانات يدافعون فيها عن دوافعهم في التصعك، ويظهرون مرارتهم من خلع قبائلهم أو تخيلا عنهم، ويدعوهم الإباء إلى أن يلتمسوا في حياة التشرد مزايا لهم،

¹ ينظر، بشار سعدي إسماعيل، شعر الصعاليك الجاهليين، ص 82.

² غازي طليعات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي - الأدب الجاهلي-، دار الفكر، دمشق، ط2، 2007، ص 277.

³ ينظر، عبد الحلیم حنفي، شعر الصعاليك منهجه، وخصائصه، ص 185.

⁴ تأبط شرا، الديوان، ص 34.

⁵ عروة بن الورد، الديوان، ص 65.

وبدائل عن قومهم وأهليهم، فالصحراء منازلهم وكتابهم المقروء، يعرفون مداخلها ومخارجها ومعالمها، ويعرفون وحشها ويألفون مخاوفها.¹

❖ الظواهر الفنية واللغوية والعروضية في شعر الصعاليك:

- الظواهر الفنية :

1- شعر المقطوعات: أكثر شعرهم مقطوعات لا قصائد، باستثناء تائية الشنفرى ذات

الأبيات الأربعة والثلاثين في بعض المصادر، ورائية عروة بن الورد المشهورة في سبعة وعشرين بيتاً، وقافية تأبط شرّاً ذات الأبيات الستة والعشرين أما المقطوعات مجموعة كبيرة تتراوح عدد أبيات الواحدة منها بين البيتين والسبعة منها ما وصل إلينا من شعر السليك مقطوعات أقصرها في بيتين، وأطولها في سبعة، ويعد تأبط شرّاً أوفر عدداً في مجموعته الشعرية حيث تتراوح ما بين الثلاثة والتسعة، ويرجع السبب إلى تلك الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش.²

2- الوحدة الموضوعية: يتميز شعرهم بوحدة الموضوع، حيث يضع لكل مقطوعة عنواناً

خاصاً بها، وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي، التي تبدأ عادة بمقدمة طولية من بكاء على الأطلال وغزل، لم تظل تنتقل من موضوع إلى موضوع حتى تصل إلى نهايتها. ويوجد في مقطوعاتهم الوحدة الموضوعية، سواء ما كان منها في وصف المغامرات أو الحديث عن سرعة العدو أو الفرار أو تقرير فكرة اجتماعية أو اقتصادية وغيره، فمثلاً بائية الشنفرى "غارة على العوص"، ورائية تأبط شرّاً "احتيال"³، وفائية السليك "العاشية المذعورة"، وبائية حاجز "نجاه" وكافية تأبط شرّاً "الصديق الصعلوك"، ورائية الشنفرى التي أنشدها قبيل مقتله "نهاية الصعلوك" أو "وصية الصعلوك" أو "وليمة الضبع"⁴، وفائية عروة "طواف الاستقرار" ورائيته "الفقير والغني"، ولاميته "تراث الصعلوك"، وهكذا لا نشعر بتفاوت شعر الصعاليك وقصائده القصيرة في عناوينها.

¹ ينظر، مصطفى السيوفى، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص203.

² يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص253.

³ شعر تأبط شرّاً دراسة وتح: سلمان داود القره غولي، وجبار تعبان جاسم، مطبعة الآداب، النجف، ط1، 1973، ص81-86.

⁴ شعر الشنفرى الأزدي، لأبي مورج عمرو الدوسي، ت ح، علي ناصر غالب، راجعة عبد العزيز بن ناصر المناع، أشرف على طبعه محمد الجاسر، من مطبوعات مجلة الغرب، د.ط، د.ت، ص104.

أما بخصوص القصائد تناولت طائفة متعددة من الأغراض ولكنها لم تخرج عن موضوع واحد، وإنما هو تفرع في أغراض الموضوع، فرائية عروة التي يتحث فيها عن مذهبه في الغزو ودوافعه، وعن الصعلوك الحامل والصعلوك العامل وعن كرمه وفقره ترجع في الحقيقة إلى موضوع واحد وهو التصعلك.

وعلى كل حال فظاهرة تقليد الشعراء الصعاليك للشعر القبلي في صورته الشكلية، ظاهرة قليلة الذبوع في مطولات شعر الصعاليك، ومنعدمة تماما في مقطوعاته.¹

3- التخلص من المقدمات الطللية: ما دام الشعراء الصعاليك يحرصون على الوحدة

الموضوعية في شعرهم، إذ أن المقدمات الطللية تخل بطبيعة الحال بهذه الوحدة، واتخذوا لهم مذهباً آخر وهو مذهب محوره "حواء الخالدة" ولكنها ليست المرأة المحبوبة التي عرفها الشعراء القبليين، وإنما المرأة المحبة الحريصة على فارسها، التي تدعوه إلى المحافظة على حياته، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها، فهذه براعة ممتازة تحسب لهم، ومن هنا يطلق على هذه المقدمات النسائية "مقدمات الفروسية في شعر الصعاليك"، فمثلاً بائية الشنفرى "غارة على العوص" يشملها بحديث إلى صاحبه بأن تتركه وشأنه الذي هو ماض إليه، ولا تثبط عزيمته.²

وأيضا يستهل السليك مقطوعة له سوى بيتين يتحدث فيهما عن تحذير صاحبه له، ويطمئنها على نفسه لأنه واثق بشجاعته وقوته:³

تُحذّرني أن أحذرَ العامَ حَتَمًا وقد عَلِمْتُ أني امرؤٌ غيرُ مسلّم

وأكثر هذه الظاهرة عند عروة بن الورد في قصائده ومقطوعاته تبدأ بحوار بينه وبين صاحبه، وهي تلومه على كرمه وإسرافه، وتعاتبه على مخاطرته بحياته يقول:

تقول سُلّي لو أقمّت لسرنا ولم تدرُ أني للمقام أطوفا

وتارة أخرى بحار الدمع الذي ينهل من عينيها الجميلتين:

تقول ألا أقصِرُ عن الغزو، واشتكى لما القولَ طرفُ أحوُرُ العينِ دامع

¹ ينظر، غازي طليعات، الأدب الجاهلي قضاياها، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 2002، ص290.

² عبد الرحمان عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتب الحديثة، د.ط، 2002، ص260.

³ يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص269.

وهو لا يجزع من الموت، وهل يملك الإنسان تأخير ساعته إذ دنت؟ إن لكا إنسان ساعة إذا حلت فلا متأخر عنها:

فإن فاز سهمٌ للمنية لم أكنْ جَزوعًا، وهل عن ذاك مِنْ متأخِّرٍ

يعدّ عروة خير من يمثل هذه الظاهرة من بين الشعراء الصعاليك في حديثه عن الفروسية والسبب راجع إلى طبيعة مركز عروة في حركة الصعلكة الجاهلية زعيما لها ومشرّعا لفلسفتها، وواضعا لتقاليدها الاجتماعية والفنية.¹

وقد تنحرف هذه المقدمات أحيانا، فلا تكون حديثا بين الشاعر والصعلوك وصاحبته، وإنما تصبح من الشاعر الصعلوك إلى صاحبته، يحدثها عن شيء سوف يفعله، أو شيء فعله وثقة بنفسه وفخر وإعجاب:

كأنْ قدْ فلا يغررك مئى تمكثي سَلَكْتُ طريقًا بينَ يَرْبَعٍ فالسردِ

وإني زعيم أن ألفتَ عجاجتي على ذي كساء من سلامان أو بُرد²

وفي هذا الأخير نستنتج أن الشعراء الصعاليك تخلصوا من المقدمات الطللية وبرزوهم في مقدمة أخرى ألا وهي "المقدمة الفروسية".

4- عدم الحرص على التصريح: تتصل هذه الظاهرة بالبناء الخارجي ليشعر الصعاليك، وهي عدم الحرص على التصريح في مطالع نماذج الفنية فهذه الظاهرة تكون مطردة في كل شعر الصعاليك سواء ما كان منه داخل دائرة الصعلكة أو خارجها، ولكن انتشارها بهذه الصورة "اللاقاعية" لها تليل، يرجع إلى تلك الثورة التي كانت تجيش بها نفوس الصعاليك على أوضاع مجتمعهم، وإلى تلك الحرية التي كانوا يعيشون فيها والتي كانت ترفض الخضوع لتقاليد مجتمعهم فكان شعرهم ثائرا على الأوضاع الفنية في الشعر الجاهلي القبلي كل شعر الشنفرى ماعدا تائيته، وكل شعر تأبط شرا ما عدا قافيته، وكبل شعر السليك ما عدا مقطوعة واحدة في بيتين اثنين.³

5- القصصية: شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كما ما يدور في حياته الحافلة

¹ يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 264.

² المرجع نفسه، ص 265.

³ المرجع نفسه، ص 268.

بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي، فحوادث مغامراتهم الجريئة¹ التي كانوا يقومون بها فرادى وجماعات، وأخبار فرارهم وعدوهم، وتشردهم في أرجاء الصحراء بين وحشها وأشباحها، كل هذا وغيره من مظاهر حياتهم مادة صالحة للفن القصصي، جمع في صورته بسيطة عناصر الفن القصصي من الإثارة والتشويق وتسلسل الأحداث حتى تصل إلى غايتها الطبيعية² مثلاً: لامية تأبط شراً قصة تبدأ بحوار بين صاحبه الشاعر وجاراتها، ثم تتابع أحداث القصة التي تدور بين بطلها وهو الشاعر الصعلوك في ليلة مظلمة حالكة وبين غول قابلها، حتى تصل القصة إلى نهايتها حين يقتل الشاعر الصعلوك هذا الغول.³

- الخصائص اللغوية:

1- لغة الشعراء الصعاليك أقرب إلى فطرة اللغة العربية، وأصدق تمثيلاتهما، إذ هي صادرة من منابعها الأولى قبل أن تؤثر فيها تلك التيارات الاجتماعية وغير الاجتماعية التي تؤثر في اللغات.⁴

2- كثرة الغريب في شعرهم، حتى يشعر الناظر فيه أحياناً أنه أمام مجموعة من الطلاسم اللفظية، يضطر أمام كل لفظ منها إلى الرجوع إلى المعاجم المطوّلة، لأنّ المعاجم المختصرة لا تسعفه حيث يقول تأبط شراً:

وَحْتَحَنْتُ مَشْعُوفُ النَّجَاءِ كَأَنِّي
هَجَفْتُ رَأَى قَصْرًا سَمَالًا وَدَاجِنًا
مَنْ الْحُصَّ هُزُوفٌ كَأَنَّ عَفَاءَ
إِذَا اسْتَدْرَجَ الْفَيْفَاءَ وَمَدَّ الْمَغَابِنَا
أو هذين البيتين أيضاً:

وشعبٍ كشلّ الثوب شكس طريقه
مجامع صوحيه نطاق محاصر
به من سيول الصيف بيض أفرها
جُبَارٌ لَصُمُ الصخر فيه قراقر⁵

ويروي صاحب لسان العرب أن "الخيعة" بمعنى الرديء لم يسمع إلى في قول

تأبط شراً:

¹ مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الدولية للاستثمارات الثقافية، ش، م، م، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص207.

² شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، 1119، ط1، ص255.

³ المرجع السابق، يوسف خليل، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص273.

⁴ المرجع السابق، يوسف خليل، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص312.

⁵ المرجع السابق، يوسف خليل، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص213.

ولا خرع خَيْعَابَة ذي غوائل هَيَام كَجْفَر الأَبْطَح المتهَيَّل

ويذكر ابن سيده أنه يقال رجل ترعيه لمن صناعته وصناعة آبائه الرعاية، أما ترعي بغير ماء فإنه نادر، وقد ورد في قول تأبط شرا:

ولست ترعيّ طويل عَشَاوُهُ يُؤْنَفَهَا مَسْتَأْنَفَ البنت مُبْهَلُ.

ومن الأدلة على هذه الغرابة أيضا اختلاف اللغويين حول معاني بعض الألفاظ، فقد اختلفوا مثلا حول معنى "المسترعل" في قول تأبط شرا: ¹

متى تبغني ما دمتُ جبا مسلماً تجذي مع المسترعل المتعبهل

ويذكر صاحب اللسان في قول تأبط شرا:

ولا حوقلٍ خطارة حول بيته إذا العرس أوى بينها كلّ حَوْتَل

"قيل في تفسيره: الخوتل الظريف، ويجوز عندي أن يكون من الختل هو الخديعة بنى منه فوعلاً"، وعبارة صاحب اللسان الأخيرة تشعر بأن هذه الكلمة قد تكون من اشتقاق تأبط شرا. ²

وعروة بن الورد أقل الشعراء الصعاليك إغرابا من الناحية اللغوية وسبب هذا أن عروة كان يقوم في حركة الصعلكة بدور الزعيم الشعبي.

- الظواهر العروضية:

الأوزان التي صاغ فيها الشعراء الصعاليك شعرهم هي الأوزان نفسها التي عرفها سائر الشعراء الجاهليين: الطويل، البسيط، الوافر، والكامل، والمتقارب، وأمثال هذه البحور قد ترددت فيها أنغام الشعر الجاهلي كما جاء في البحر الطويل زحاف وهو حذف ياء "مفاعيلن" ونون "فعولن" وتحول التفعيلة إلى "مفاعلن" و "فعول" وهو ما يسميه العروضيون "القبض" وذلك مثل قول تأبط شرا:

تقولُ تركتَ صاحباً لك ضائعاً محبت إلينا فارقاً متباطناً

إذا ما تركتُ صاحبي لثلاثة أو اثنين مثلينا فلا أبتُ أمناً

¹ ينظر، عبد الرحمان عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص 260-261.

² شعر تأبط شرا، د.ت.ح، سلمان داود القره غولي، وجبار تعبان جاسم.

وأيضاً انتشار العلة الجارية مجرى الزحافات، وهي إسقاط أول الوجد المجموع من "فعلون" في أول القصيدة أو المقطوعة فتتحول إلى "فعلن" وهو ما يسميه العروضيون "الخرم" وذلك مثل قول الشنفرى:¹

لا تقبرني إن قبري محرّم عليك ولكن أبشرى أم عامر

وهي ظاهرة منتشرة أيضاً في شعر الصعاليك انتشارها في سائر الشعر الجاهلي .

وهناك ظاهرة عروضية أخرى وهي انتشار الرجز قبيل مصارعهم، والسبب في هذا سهولة هذا الوزن، واتفاقه مع حركات القتال، وقد لقي كثير من الصعاليك مصارعهم في أثناء قتالهم مع أعدائهم وسقطوا في أثناء هذا القتال شهداء الفكرة التي عاشوا من أجلها، نجد أن كثيراً منه كان رجزاً مثلاً:

الشنفرى في ساعة أخيرة حين يضرب أعداؤه يده فيقطعونها يرثيها رجزاً.²

ونخلص في هذا الفصل أن الصعاليك كونوا لأنفسهم مجتمعا موازيا بقوانين خاصة بهم، قد صوروا في أشعارهم حياتهم الاجتماعية من الغزو والسلب، والسطو على القبائل، وتحدثوا عن مغامراتهم، ووصف السلاح، وأمّا عن الجانب الفني فقد تمردوا على القوالب التقليدية التي بنيت عليها القصيدة العربية، مثلاً: كان أغلب شعرهم مقطوعات وتخلصوا من المقدمة الطللية، وأمّا الجانب اللغوي فكانت لغتهم أقرب إلى اللغة العربية، وأمّا بخصوص الظواهر العروضية، فكانت الأوزان التي صاغ أشعارهم نفس البحور التي عرفت في العصر الجاهلي.

¹ ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 311.

² الشكري، أشعار الهذليين، دار الكتب المصرية، 1948، د.ط، د.ت، ص31-33.

الفصل الثاني

دلالة الفضاء المكاني في شعرهم

أولاً: نبذة عن حياة الشعراء الصعاليك.

ثانياً: دلالة فضاء الصحراء المتماذي اللامنتهي.

ثالثاً: دلالة فضاء الجبل.

رابعاً: دلالة فضاء الشعاب والأودية.

لقد تأثر الشعراء الصعاليك بالعامل الجغرافي وما حواه من تضاد طبيعي وتضاد قلبي من خلال الطبقة، ومن هنا نشير إلى المجال الجغرافي السكني والحركي، والمعيشي للصعاليك بكل ما فيها من الضوء والضلال والجدب والحر اللذان عرفت بهما منذ القدم، والحقيقة إن الجزيرة العربية ليست جميعها صحراء قاحلة، وإنما فيها مناطق تفيض بالخصب والثراء كاليمين أرض الماء والظلال والبساتين ومنها "هضبة نجد"، وسلسلة جبال "السرارة"، وبعض الأودية منها "وادي الجنات".

فهنا نرى أن هذا المسرح الجغرافي ذا الإتحادات هو مسرح الصعاليك وموطن الكر والفر والسلب والنهب والغزو وموطن الإغارة والتلصص والفتك وهكذا تظهر قصائد الشعراء، ولا ننكر أثر هذه البيئة الذي شجع هؤلاء الصعاليك على اختيار تلك الأماكن التي أشرنا إليها علاوة على السببين السابقين، إنها تسهل هروبهم وتوفر لهم أماكن الإختباء والتخفي بحكم طبيعتها الجبلية الوعرة ومعمراتها المتدخلة وكهوفها وصخورها العالية.

ومن بين الشعراء الصعاليك نذكر: عروة بن الورد، الشنفرى، وتأبط شراً، والسليك بن السليكة.¹

❖ نبذة عن حياة الشعراء الصعاليك:

1- عروة بن الورد:

- **حياته:** «هو أبو نجدة، أو أبو حمّان عروة بن الورد العبسي من أهل نجد، ومن شعراء الطبقة الثانية كان دهاء العرب وشجعانها الموصوفين وكان يلقب بعروة الصعاليك».²

«جمع في شخصه صفات الشجاعة والجود وكرم الأخلاق، وكبر النفس وبعد الهمة والإبتعاد عن الفحش».³

يعتبر عروة بن الورد بين الشعراء العرب، أحب الشخصيات أكثرها جاذبية، ذاك كما اشتمل عليه شعر هذا الشاعر الجاهلي الفطري من آداب إنسانية رقيقة، وأخلاق الفارس

¹ ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، رشاد برس للطباعة والنشر، لبنان، د.ط، 2008، ص 53-54-55-56.

² ابن سكيت، ديوان عروة بن الورد العبسي، خزانة الكتب العربية، جول كربونل، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 05.

³ ديوان الصعاليك، الشنفرى، عروة بن الورد، السليك بن السلعة، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجليل، بيروت، د.ط، 2004، ص 55.

النبيل الكريمة المعطاة، مع جود بعيد عن التكلف والإفتعال، وروح تعطي المحتاج الفقير، تتجلى في كل ما كان يقدمه للناس للناس من إحسان ويبدله من عطف وكرم تجاه الصعاليك والضعفاء والمساكين والمرضى، وكان عروة بن الورد فارساً من فرسان الجاهلية المعدودي.¹

- **وفاته:** وكان عروة يغير في بلاد نجد وأطرافها، مما يلي الحجاز والعراق، وقد قُتل في بعض غزواته على يد رجل من طهية، في حدود سنة 616م.

- **شعره:** كان عروة بن الورد يدون أحداث حياته، من غارات وتأمّلات في الحياة في شعر شخصي صادق، وهو لم يسر على سنة الشعر الجاهلي من وقوف على الأطلال والبكاء على الفراق، ووصف الجواد والناقة والليل، وإنما أعطى شعراً يعكس الحياة البدوية الساذجة المحفوظة بالأخلاق العالية، والآراء الصريحة حول الغنى والفقير، والاعتكاف على النفس، ويمتاز شعر عروة بن الورد بجمال المعاني وطلاوة التعبير، وإيقاع مريح، وبعد عن الغريب.²

2- تأبّط شراً:

- **حياته:** هو ثابت بن سفيان بن عمثل بن عدي بن كعب بن حزن³، وقيل جرب بن

تميم بن سعد بن فهم بن عمرو وبن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.⁴

اتسمت حياة تأبّط شراً بقليل من الاضطرابات جعلت منه شخصاً متمرداً على واقعة نائر على نفسه حتى ألقيناه صعلوك، يتقن مهارات عديدة في فداء الميدان، عاش شاعراً حياة مليئة بالقتال والغزو والمجازفات إلى جانب عدة من الرفقاء مثل عروة بن الورد، عمر بن براق، الشنفرى، فأوتي بذلك صفات الصعليقة بحيث لا نجد له تطيراً في ذلك إلا الشنفرى فقد كان قتال من أغربة العرب الأضراس وعلى الرغم من ضالة حجمه إلا أنه كان عداءً لنظير له، يسابق الخيل، وبه يضرب المثل بالسرعة إذ كان أعدي ذي ساقين.⁵

¹ ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتح أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1418هـ-1998م، ص09.

² ينظر، ديوان الصعاليك، شرح يوسف سكري فرحات، ص56-57.

³ أبي الفرج الأصفهاني، كتاب الاغانى، مح، ص203-205.

⁴ ينظر، أبو العباس المفضل بن الضبي، ديوان المفضيات مع الشرح لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، مطبعة الآباء اليسو، عين بيروت، د.ط، 1920، ص01.

⁵ عبد الرحمان المصطفاوي، ديوان تأبّط شراً، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص07.

- **وفاته:** قتل تأبط شرا في بلاد هذيل، ورصدته القبيلة التي طالما أغار عليها فتأرت منه، ورمته في غار يقال له رَحْمَان، وقيل بل قتل في بلاد بجيلة على جبل غار¹، وهناك من يقول أنه كانت على يد غلام اسمه سفيان بن ساعدة إذ تخبأ له، وراء الشجرة يترقبه حتى إذا اقترب أطلق عليه سهماً فأصابه في قدمه فأدمى ولحق سفيان وقتله، ثم عاد يعرج إلى رفاقه ليموت بينهم.

- **شعره وديوانه:** يتصف شعره بالجفاء، وبكثير من بدهة العاطفة، وسذاجة الحكمة، واندفاع الأخلص، على ما هو معروف في أخلاق سائر الصعاليك، كما يمتاز بقوة الملاحظة، ودقة الوصف وانتقاء التعبير الجامعة الموجزة. وقد توزعت قصائده ومقطعاته في المفضليات، والحماسيتين والشعر والشعراء والعقد الفريد والأغاني، وقصائده، في أكثرهما، غير كاملة، وقد اعتمد على هذه المصادر، لا سيما الأغاني، في جمع شعره وشرحه.²

3- الشنفرى: (القرن الخامس وأوائل السادس).

- **حياته:** «هو ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى، وقد عاش صعلوكاً ولصاً مرهوب الجانب معتصم له سوء الجبال»³، «وكان من عشيرة الأوس بن الحجر الأزدي اليمينية، فهو قحطاني النسب، ويدل اسمه، ومعناه الغليظ الشفاه، أن دماء حبشية كانت تجري فيه من قبل أمه، فهي أمُّه حبشية، وقد ورث عنها سوادها ولذلك عدّ في أغربة العرب»⁴، كان الشنفرى شاعراً جاهلياً، وجلّ أشعاره تتحدّث عن الصعلكة واللصوصية، يفخر بذلك، ويمارس ذلك جهاراً ولا يخاف من أحد، فهو يمتلك أسرع رجلين في التاريخ العربي القديم حتى ضرب به المثل في الجري والسلب والهرب.

اختلف الرواة في سيرة الشنفرى، فبعض هذه المصادر ذكرت أنه نشأ في قومه الأزدي، وحصل بينه قومه ما أعاظه وأثار نفسه على قومه، فهجرهم واعتزلهم، وبعض آخر

¹ ديوان الصعاليك، تح، يوسف شكري فرحات، ص116.

² ينظر المرجع نفسه، ص116.

³ حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، د.ط، 2005-1426هـ، ص171.

⁴ سحر سليمان الخليل، كتاب خاص في تاريخ الأدب العربي القديم، دار البلدية ناشرون موزعون، ط1، 2011-1432هـ، ص38.

فقال إن بني سلامان أسروه صغيراً، فنشأ في ربوعهم يطلب الهرب والنجاة، كما أنه انتقم منهم.¹

- **وفاته:** مات الشنفرى قتلاً، وتختلف الروايات حول مقتله، إلا أنّ الأخبار تكاد تتفق بعد هربه من بني سلامان أقسم على قتل 100 رجل منهم، قتل 99 ثم احتال عليه بنو سلامان بمساعدة أحد العدائين هو أسد بن جابر، وقتلوه عندها حوالي سنة 552 واجتزوا رأسه وطرحوه إهانة له.²

- **شعره:** جاء شعره وليد الفطرة، فقد كان ابن القفار عشير الضواري، فجاء شعره صورة لهذه الحياة، خشن الفكر والصورة والتعبير، كما جاء صادق القول دقيق التصوير ينقل الكلام الوضعي والصورة الحقيقية. «وتقوم شهرة الشنفرى على قصيدته اللامية المعروفة بـ "لامية العرب" التي جرت على ألسنة الناس جيلاً بعد جيل».³

4- السليك بن السلّكة: (القرن السادس للميلاد).

- **حياته:** هو السليك بن عمرو بن الحارث، وقيل ابن عصير يثربي، أحد بني مقاعس، والسلّكة أمّه وهي أمة سوداء، وهو أحد الصعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تدرّكهم الخيل إذا اغدوا.⁴

وهو «أحد أغربة العرب وهُجَنائهم وصعاليكهم ورُجَيْلائهم».⁵

وكان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم، وكانت العرب تدعوه "سليك المقانب" (جماعة الخيل)، وكان أدلّ الناس بالأرض وأعملهم بمسالكها، وأشدّهم عدواً على رجيله وكان يقول: « اللهم إنك تهيء ما تشاء، اللهم، إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمة، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة».

¹ الشنفرى، شرح ديوان الشنفرى، جمع وشرح وتحرر: محمد نبيل الطريفي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 8-9.

² هارون مجيد، الجمال الصوتي للإيقاع الشعري تائفة الشنفرى أنموذجاً، ط1، 2014، ص142.

³ ينظر: الشنفرى، ديوان الشنفرى ومختارات من شعر السليك بن السلّكة وعمرو بن براق، قدم له وشرحه الدكتور صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، 2011، ص23.

⁴ ينظر، أبي الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تح، لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، مج 20، ط5، 1981م ص376.

⁵ ينظر، ابن قتيبة الشعر والشعراء، لندن، ج1، د.ط، 1921، ص356.

وأما بخصوص مقتله، فالسليك مات قتلا كما ورد في الأغاني، أنه كان يعطي عبد الملك بن مويك الخثعمي إتاوة على غنائه على أن يجيره، فيتجاوز بلاد خثعم إلى مكن ورائهم من أهل اليمن، فيغير عليهم، ومر قافلا من غزال له، فإذا بيت من خثعم أهله خلوف وفيه امرأة شابة بضة فسألها عن الحي فأخبرته فتسئمها (علاها)، ثم حبس الحجرة فبادرت إلى ماء فيه قومها وأخبرتهم فركب أنس بن صدرك الخثعمي في طلبه فلحقه فقتله، فقال عبد الملك بن مويك سيّد خثعم: والله لأقتلن أو ليديه فقال أنس:

إني وقتلي سليكا ثم أعقله كالتور يضرب لما عافت البقر¹

- شعره وديوانه: يمتاز شعره بالعموية وصدق التعبير، وبالخشونة وهو يجسد بعض ما اعترضه من أحداث، ولم يجمع للسليك ديوان كونه من الشعراء المقلين، إما تتوزع مقطعاته القصيرة في الأغاني وقد اهتم بشهره الأصمعي.²

تميزت البيئة الجاهلية بأنها من منطقة صحرواية، جبلية عرفت الأغوار المنخفضة ذات الحرارة الشديدة والجبال العالية ذات القمم الثلجية، وعرفت بينهما مناطق رملية مترامية الأطراف كثيرة المجاهل والمخاوف، ولهذا لها كان أثر بليغ في حياة الصعاليك، ولها دلالات واضحة من خلال أشعارهم.

1- دلالات الفضاء المكاني عند الشعراء الصعاليك:

❖ دلالة فضاء الصحراء المتماذي اللامنتهي:

أقام الصعاليك لأنفسهم مجتمعنا فوضوا شريعته "القوى"، ووسيلته "الغزو والسلب"، وهدفه "السلب والنهب"، وجدوا في الصحراء الفسيحة الواسعة التي لا تقيد قيود، ولا تجد من حريتها حدود، ولا يستطيع قانون أن يخترق نطاقها ليفرض سلطانه عليها، يمارسون فيما نشاطهم ويعيشون فيها حرة متمردة، تحفل أشعارهم بأحاديث هذا التشرّد في أنحاء الصحراء الموحشة، ووديانها الرهيبة، حيث يحكي الوحش بعيدا عن البشر.³

¹ المرجع السابق، أبي الأصفهاني، كتاب الأغاني، ص 356-357.

² ديوان الصعاليك، الشنفرى، عروة بن الورد، تأبط شرًا، السليك بن السلّكة، ش، تح، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، دط، 2004، ص181.

³ ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب، القاهرة، دط، دبت، ص49.

ولعل أقوى ما صور به هذا التشرد في شعر الصعاليك صورة تأبط شرا، حين ألفته
الوحش لطول ما عاش بينهما مسالما لها، حتى أنست به، واطمأنت إليه حيث يقول:

يَبِيْتُ بِمَعْنَى الْوَحْشِ أَلْفَنُهُ وَيَصْبِحُ لَا يَحْمِي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعاً

رَأَيْنُ فَتَى لَا صَيْدَ وَحْشٍ بِهَمُّهُ فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَفَحْنَاهُ مَعاً¹

ومن خلال هذين البيتين تضمن علامات لها دلالات نذكر بعضها:

الوحش ← دلالة على منازل الحيوانات الموجودة في الصحراء {استبدال الأحياء من الشر
ألفنه ← دلالة على الأنسة والتعود على العيش معا. } بأخرين من الوحوش.
وتتشاكل اللفظتان لتحقيق دلالة الألفة بين الصعلوك والحيوانات.

ويقول الشنفرى في لاميته مخاطبا أهله:

ولي، دونكم، أهلون، سيذُ عملسُ وأرقتُ زُهْلُولُ وعرفاءُ جِيَالُ

هُمُ الأهلُ، لا مستودعُ السرِّ ذائعُ لديهم، ولا الجاني، بما جرَّ يُخْذَلُ²

هذا التشرد جعل الصعاليك على صلة قريبة بحيوان الصحراء، استطاعوا على
طريقها أن يعرفوا طباعه وعاداته.

وفي النص لفظين دالتين:

(دونكم) ← (أهلون) سيد عملس، أرقت، زهلول.

وتشمل على دلالات:

- (دونكم) ← دلالة على التخلص والابتعاد.
- (أهلون سيد عملس، أرقت زهلول، عرفاء) ← دلالة على جعل الحيوانات أهلا له.
- (لا مستودع السر) ← دلالة على الوفاء والإخلاص.

وكان من نتيجة هذا التشرد البعيد في أعماق الصحراء أن أصبح الصعاليك على علم
واسع بأسرارها، ومعرفة دقيقة بشعابها، ودور بها ومسالكها، وصياهاها، ومقدرة فائقة على
الإهتداء في مجاهلها، واختراق متاهاتها دون دليل، وفي شعر الصعاليك أحاديث كثيرة عن
الصحراء، وفخر عريض بمعرفة أسرارها وهذا تأبط شرا يقول:

¹ ينظر، ، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص 49-50.
² ينظر، ديوان الصعاليك، الشنفرى، عروة بن الورد، تأبط شرا، السليك بن السلكة، ش، تح، يوسف شكري فرحات،
ص 38-39.

تَبَطَّنُهُ بِالْقَوْمِ لَمْ يَهْدِنِي لَهُ دَلِيلٌ وَلَمْ يُثَبِّتْ لِي النَّعْتِ خَابِرٌ¹

وهنا يتحدث فيها عن اعتدائه إلى شعب في أعماق الصحراء المجهولة بصعاليكه دون أن يهديه إليه دليل أو يصفه له خبير.

وفي البيت مجموعة من الألفاظ لها دلالات واحدة:

(لم يهديني) ← (دليل) ← (خابر) وهي القدرة على معرفة دروب الصحراء وفي هذا يقول أيضا الشنفرى من لامية العرب:

وخرقٍ كظهرِ التِّرْسِ قَفَّرَ قَطْعُهُ

وَأَلْحَقْتُ أَوْلَاهُ بِأَخْرَاهِ مُوفِيًّا

تروُدُ الأَزَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كَأَنِّي

من العصم أدفى ينتحي الكيخ أعقلُ

فالشاعر في هذه الأبيات يصف الصعلوك بأنه يخترق الصحراء النائية الخالية التي لا يطرقها أحد، معتمدا على رجليه القويتين السريعتين، حتى يصل إلى منازل الوعول البعيدة التي لم تعد تتكره، لكثرة ما خالطها، حتى كأنه واحد منها من خلال التشاكل بن الألفاظ:

(خرق) ← (القنّة)

وتشمل على الدلالات التالية:

(خرق) ← الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح وهنا يقصد الرجلين

(القنّة) → العلى (أعلى الجبل).

(قفر) ↔ دلالة على الخلاء.

ونجد الشنفرى يفتخر بنفسه لمعرفته دروب الصحراء، في هذه الأبيات حيث يقول:

ولست بمحيارِ الظلام، إذا انتحتُ

إذا الأصغرُ الصَّوَانُ لاقى مناسبِي،

ومن الالفاظ الدالّة في هذا النص:

- (لست بمحيار الظلام) ← أن الشاعر غير مختار (من الحيرة) من الظلام. دلالة على

- (يهماء) ← الصحراء الواسعة. الصبر

- (هَوَجَلُ) ← عدم التحير في الظلام إذا كانت الصحراء تضل المسافر المتسرع الأحمق.

¹ ينظر تأبط شرا، الديوان، تح، عبد الرحمان المصطفاوي، دار المعرفة، لبنان، ط2، 2006، ص29.

² ينظر، الشنفرى، ديوان الشنفرى، تح: أصيل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1996، ص62.

- (الأصغر) ← دلالة على صلابة المكان.

يتحدث الشنفرى هنا عن هجومه على الغميضاء وهي أرض نجد وقد أوقع الناس في حيرة من وجههم إنسان أو حيوان ولكن هو الشنفرى حيث يقول:

ويوم من الشّعري يزوب لُعابُهُ أفاعيه في رمضائه تَنْهَلُهُ
نصبتُ له وجهي ولا كنَّ دونهُ ولا سترَ إلا الأتحمي المرعبلُ
وضاق إذا طارت له الرّيحُ طيرتُ لبايدَ عن أعطافه ما تُرجلُ
بَعِيدُ يمسُّ الدُهْنِ والفلي عهدُهُ له عَبَسَ عاقٍ من الغسلِ مُحولُ
وخرقَ كظهرِ الثُّرسِ قَفْرَ قَطَعْتُهُ بعاملتين ظهْرُهُ ليس يُعْمَلُ¹

يصف الشنفرى هنا صبره على الحر أيام الحر الشديد حتى إن حياة الرمضاء تتلوى من الرمضاء، وقد صبر وعرض وجهه للشمس لا يحميه إلا ثوب رقيق وشعر ملقى على أكتافه غير مسرح ولا مدهون، وهذا الشعر قد مضى عليه حول دون أن يغسله وهذا دليل على عدم اهتمامه بجسمه وانشغاله بالغزو الفتك.²

وفي هذا النص تتشاكل مجموعة من الألفاظ الدالة وذلك على النحو الآتي:

- الشّعري ← يدل على طلوع الكوكب على شدة الحرّ
- الرمضاء ← الحرارة الشديدة.
- خرق ← الاتساع (والأرض الواسعة).
- قفر ← تدل على الخلاء والفراغ.

تحيل على طبيعة الصحراء
المقفرة الحارة.

وأيضا نجد عروة بن الورد يفتخر بمقدرته على الإهتداء في الفلاة الغامضة المخوفة التي يعرض سالكها نفسه للمهالك من غير أن يستشير أحداً أو يستعين بأحد:

وغبراء مَخْشِيَّ زَاذَهَا مَخُوفَةٌ أخوها بأسبابِ المنايا مُغرَّرُ
قطعتُ بها شكَّ الخلاجِ ولم أقل لخيابةٍ هيابةٍ كيف تأمرُ³

¹ ينظر، الشنفرى، ديوان الشنفرى، تج: أصيل بديع يعقوب، ص72.

² ينظر، محمود حسن أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، عاصمة الثقافة العربية، ص132.

³ ينظر، عروة بن الورد، ديوانه، شرح بن السكيت، تج: عبد المعين الملوح، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد، القومي، 1966م، ص130.

وفي هذا النَّصِّ علامات دالة:

- | | | | |
|---|-----------------|-----------|------------------------------|
| { | تحيل على الخوف | ← غرباء | ← أرض غير بنية الطرق (مظلمة) |
| | والضياع والمصير | ← الخيابة | ← دلالة على كثرة الخيبة. |
| | المجهول. | ← الهيابة | ← تدل على الخوف الشديد. |

إذن فالصعاليك رغم انقطاع الصلة بينهم وبين قبائلهم إلا أنهم صنعوا لأنفسهم حياة في الصحراء تضمن لهم البقاء وعدم الزوال وكونوا لأنفسهم صدقات سواء مع البشر أو الحيوانات وهذا ما يتجسد في شعر (السليك بن السليكة) حيث يقول:

بكى صُرْدُ لما رأى الحيَّ أَعْرَضَتْ مهامه رَمَلِ دُونَهُمْ وَسُهوبُ
 وَخَوْفُهُ رَيْبُ الزَّمانِ وَفقرُهُ بلاد عَدُوِّ حاضِر، وَجَدوبُ
 وتَأَيُّ بَعِيدُ عن بلادِ مَقاعِسِ وإنَّ مَخاريقِ الأُمورِ تَرِيبُ
 فقلت له لا تَبكِ عيناكَ إِنَّها قَضِيَّةٌ ما يَقضي لها فَتَنوبُ

فالسليك في هذا النَّصِّ يصف ما وقع لصديقه صُرْدَ عندما ظَلَّتْ ناقته في جوف الليل قرب بلاد خثعم، وخرج في طلبها فأصابه أناس فأسروه، ولحقول بالسليك الذي قاتلهم، وأصاب من نعمهم واستنقذ صُرْدَ من أيديهم، وهذا دليل على الولاء لصاحبه، وفي النَّصِّ تداخل بين المكان القحط والزمان وذلك من خلال الألفاظ الدالة:¹

- | | | |
|---|-----------|---------------------------|
| { | (مهامه) ← | المفازة البعيدة والشاسعة. |
| | (جدوب) ← | الجفاف والقحط. |
- الدائم للأخطار المجهولة.

وعندما رأى أصحابه قد انصرفوا وابتعدوا عنه في الصحراء الواسعة، بكى صُرْدَ ويأس من النجاة، وبعد لحظات فقط عندما رأى السليك توقف الزمان وشعر بالأمل مرة أخرى وهذا ما يتجسد من خلال العلامات الدالة:²

- (الزمان) ← دلالة على توقف الوقت.
- المخاريق ← دلالة على تقلبات الزمان وعدم ثباته على حاله.
- تَوُوب ← صلاح الأمور والأمل في النجاة.

¹ ينظر، ديوان الصعاليك، الشنفرى، عروة بن الورد، تأبط شرًا، السليك بن السلكة، يوسف شكري فرحات، ص 182-183.

² ينظر، ديوان الشنفرى، ويلييه السليك بن السلكة وعمر بن براق، تح: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، ص 79-80.

كما نجد أيضا الليل ظاهرة طبيعية ترتبط بالزمان والمكان، كما ترتبط ببعض المشاعر والأحاسيس كالرغبة والخوف، ففي الليل تختفي المرئيات ولا يظهر شيء غير القمر أو النجوم، فتراه يبعث على نوع من الخشوع والهيبة، وينعكس هذا على وجدان الشاعر في صورة آلام وأحزان وقلق، فضلا عن أن الليل قد ارتبط بالمخاوف والأهوال فإنه قد اتخذ من عبور الليل، في تلك الصحراء المجهولة رمزا للانتصار الوجودي الذي يؤكد به خلاصة عن هيمنة الزمان والمكان على نفسه وعقله حيث يقول الشنفرى:¹

وليلة نحسُّ يُصْطَلَى القوس رُبُّهَا وأقطعهُ اللَّاتِي بها يَنْتَبَلُ
دعستُ على غَطَشٍ وَبَغَشٍ وَصُحْبَتِي سَعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

فالعبور هنا هو عبورًا لفضاء النفس وحيرتها الوجودية، فالليل يرتبط بالتناهي والمجهول والخوف الوجودي من الزمان والمكان، فعبور الظلام يمثل انتصارا على الطبيعة وعلى ما يرمز إليه الليل والصحراء ومن الالفاظ الدالة:²

- (نحس) ← الظلام وهو ضد السعد.
 - (غطش) ← دلالة على شدة الظلمة.
 - (بغش) ← المطر الخفيف
 - (سعار) ← شدة الجوع والشعور بالحر.
 - (وجر) ← الخوف
- المعيشة الظنكى والأخطار المحدقة
- ❖ دلالة فضاء الجبل:

عرفت الجزيرة العربية سلسلة من الجبال الشامخة، والمرتفعة، لعل أبرزها جبال السراة فيما بين مكة والطائف وأول الطريق الصاعد إلى اليمن، وتعد هذه المنطقة من أشد مناطق الحجاز خصبا، تنمو بها أشجار الصمغ والصنوبر والسرو، وغيرها، ولهذا اتخذها عدد كبير من صعاليك العرب سواء هذيل أو خلعاء القبائل وشذاذها موطننا لهم يمارسون غاراتهم، وينهبون ويسلبون ما تيسر لهم من النعم، وبحكم طبيعتها الجبلية يسرت وسائل الهرب والإختفاء والنجاة لهؤلاء الصعاليك، لما تحتويه، من دروب ملتوية وطرقها الصاعدة

¹ ينظر، حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا وفنون، ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2003، ص399.

² ينظر، ديوان الصعاليك، الشنفرى، عروة بن الورد، تأبط شرًا، السليك بن السلعة، شرح، يوسف شكري فرحات، ص46-47.

الهابطة، وثناياها الغامضة المحجبة، وصخورها العالية المتناثرة، ومن هنا شغل معلم الجبل حيزًا هامًا من الأماكن الموظفة في شعر الصعاليك.

ففي أخبار تأبط شرا أنه أغار ومعه عمرو بن براق الفهمي على بجيلة وغنمًا، فلا خرجت في آثارهما «مضينا هاربين في جبال السراة، وركبا الحزن» وفي هذا يقول:

نَجوت منها نجائي من بجيلة إذْ أَلقيت لَيْلة خَبْتِ الرَّهْطِ أرواقيـ
 لَيْلة صاحوا وأغروا بي سراعهم بالعَيْكتينِ لَدَى معدى ابْنِ بَرّاقِ
 كأنّما حثحثوا حُصًا قوادمه أو أم خِسْفِ بذي شتِ وطَبّاقِ
 لا شيء أسرع مِنّي ليس ذا عُدْرِ وذا جَناحِ بِجَنْبِ الرّيدِ خَفّاقِ¹
 ومن بين الألفاظ الدالة:

- | | | |
|------------------------------|---|---|
| دلالة على الشموخ
والخلود. | } | - (خَبْتِ) ← ليونة الأرض. |
| | | - (الرّهط) ← مكان الراحة. |
| | | - (العَيْكتين) ← جبالان ومما يدلان على القوة والخلود والترصد. |
| | | - (معدى) ← مكان العدو. |
| | | - (الرّيد) ← الشمراخ الأعلى من الجبل. |

لقد اتصل الشعراء الصعاليك بالطبيعة اتصالًا وثيقًا وتفاعل معها بكل مظاهرها وظواهرها فلم تحجبه عنها أسوار ولا قصور وأصبحت له بمثابة الأم التي تعطيه كل ما تستطيع، فإذا كان الشاعر باستخدامه لعناصر العالم الطبيعي في تشكيله الشعري يكشف عن إعجاب بهذا العالم، وبالنظر إلى هذه النصوص يتضح أنهم اتخذوا من الجبال معيار القوة والصلابة، وفي ذلك يقول تأبط شرا:²

وَقُلَّةِ كِنْسَانِ الرَّمحِ بارزةً ضِخْيَانَةٍ في شهورِ الصّيفِ مِخْراقِ
 بادرتُ قنّتها صحبي وما كسلوا حتّى نَمَيْتُ إليها بَعْدَ إِشْراقِ
 لا شيء في ريدها إلا نَعَامَتِها منها هزيمٌ ومنها قائمٌ باقِ
 بِشَرْتَةٍ خَلَقَ يوقى البنانُ بها شَدَدَتْ فيها سريحا بَعْدَ إِطْراقِ

¹ تأبط شرا، ثابت بن جابر، الديوان، تح، عبد الرحمان المصطفاوي، دار المعرفة، لبنان، ط2، 2006، ص41.

² ينظر، حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا، فنون، ونصوص، ص381-384.

ففي النص يفتخر الشاعر بمبادرته إلى صعود قمة الجبل في شهور الصيف، حتى الشمس البارزة التي تحرق من فيها وهو ينتعل حذاء ضعيفة بالية ومن الألفاظ الدالة التي تعكس القوة والشجاعة¹، نذكر:

- | | | |
|--|---|---------------------------------------|
| دلالة على صعوبة التأقلم
مع الطبيعة. | } | - (الْقُلَّة) ← جبل عالي يصعب صعوده. |
| | | - (كسان الريح) ← حرارة الشمس الحارقة. |
| | | - (محراق) ← الاحتراق. |

وأيضاً من الأمثلة الحية على شجاعة الصعلوك الثائر والفاتك المغامر والمخاطر الذي يشغل كل الظروف لتحقيق المذهبية الصعلوكية، الشنفرى الذي لا يتقدم صعلوك من الصعاليك عليه إقداماً وشجاعة وحماسة وفتكا وتكילה بالأعداء حيث يقول:

أنا السمع الأزل فلا أبالي ولو صَعَبْتُ سَنَأخِيبُ الْعِقَابِ
ولا ظَمًا يُوخِّرُنِي وَحَرًّا ولا خَمَصٌ يُقْصِرُّ مِنْ طَلَابِ

فإنه هنا يضع نفسه في مهب الرياح مستهترا بكل شيء عازماً على تحقيق ما في ذاته طامعاً في إنجاز أهدافه²، وهذا النص يشتمل على دلالات:

- | | | |
|------------------------------|---|--|
| دلالة على الصبر
والعزيمة. | } | - (سناخيب) ← أعالي الجبال. |
| | | - (العقاب) ← الصعب من الجبل. |
| | | - (لا يؤخرني) (لا يقصر) ← كلتاهما دلالة على العزيمة والتحمل. |

وكان الصعاليك يشنون غاراتهم على المناطق الخصبة ويفتخرون لوصولها منها، الغارة التي قام بها عروة بن الورد على أهل نجد وأهل الجبل، حيث يقول:

نُطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلُ الْقَوْمِ بِالْقَنَا وبييضِ خفافِ ذاتِ لونٍ مُشَهَّرِ
فيومًا على مَنْ نَجْدٍ وَغَارَاتِ أَهْلِهَا ويومًا بأرضِ ذاتِ شتٍّ وعرِ عِرِ
يتناقلن بالشمطِ الكرامِ أولي القوي تتنقاب الحجازِ في السَّريعِ المسيرِ³

ومن الألفاظ الدالة على بلوغ الجبال في هذا النص:

- (الشتّ) ← شجر طيب الريح مر الطعم ينبت في جبال الغور وتهامه.

¹ ينظر، ديوان تأبط شراً، وأخباره، جمع وشرح وتح: علي ذو الفقار شاعر، ص 138-139-140.

² ينظر، الشنفرى، شاعر الصحراء لأبي محمود حسن أبو ناجي، ص 96.

³ ينظر، ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، خزنة الكتب العربية، الجزائر، مطبعة جول كربونل 1936 ص 84.

- (العرعار) ← شجرة جبلي عظيم.

- (يتناقلن) ← حجارة صغيرة في الطرق الجبلية وهي دلالة على التجنب والحدز.

ويقول في وضع في آخر في اتخاذه الجبل معلم الديار:

وما كان مناسكناً قد علمتم مدافع ذي رضوى، فعظّم، فضدّد

لكنّها والدّهر يوم وليلة بلادُ بها الأخباء والمتصيّدُ¹

وهنا يتحدّث عن مناطق خصبة بها ماء وثمار من نخيل وغيرها من بلاد الحجاز،

ومن معالم التشاكل هنا:

- مناطق الخصبة {
- (رضوى) ← جبل ينبع على مسيرة يوم، يضيف دلالة على الاستمرارية.
 - (ضدّد) ← جبل بتهامة.
 - (الأجناء) ← الثمار والخصب.

وأيضاً من بين الأمكنة في الجبال المرقبة وهي مكان يتربص به الصعلوك للأعداء أو ترصد الصحبة، ومهاجمتها عندما يسوقها خطها العاثر عبارة للطريق، فهي لا تعطي الأمن والسلامة، فوصف المرقبة إذن ليس خالصاً للمعنى الي يرى فيها ناقدة يطل منها الصعلوك ليرقب ضحيته فهي تمثل بمعنى من المعاني نافذة يطل الصعلوك كي يرقب الحياة التي تعرت من كل معنى وتوقفت عن أي عطاء يقول الشنفرى:²

ومرْقَبَةٌ عَنقَاءٌ يَقْصُرُ دُونَهَا أَخُو الضَّرْوَةِ الرَّجُلُ الخَفِيُّ المَخْفَفُ
نميت إلى أعلى ذراها وقددنا من الليل ملتف الحديقة أسدّف
فبيبتُ على حدّ الذارعين مُجديًّا كما يُنطوي الأرقم المتعطفُ
وليسَ جِهَازِي غَيْرَ نَعْلَيْنِ أسْحَقْتُ صُدُورَهُمَا مَخْصُورَةً لا تُخَصِّفُ³

فالشنفرى يحدثنا عن هذه الذروة التي استطاع أن يصعد إليها في مهارة وشجاعة، ولكنه على الرغم من هذه الشجاعة، لم يتخلص من الخوف والتوتر في أعماقه، فالليل

¹ المرجع نفسه، ص188.

² ينظر، عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة، في الشعر الجاهلي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، د.ط، ص134.

³ ينظر، ديوان الصعاليك، الشنفرى، عروة بن الورد، تأبط شرّاً، السليك بن السلكة، شرح، يوسف شكري فرحات، ص32.

الشديد الظلمة الذي يحدثنا عنه الشاعر يرمز في أغلب الأحيان، لانطلاق الأحاسيس الكامنة بالعدوان، وهذه الصورة التي رسمها الشاعر ولنفسه وهو يقضي ليلته تلك والتي تجسدها الرقدة المنطوية المنكسرة التي لا رفقة فيها، والشاعر عند هذه القمة العالية فوق الإنسان والأشياء يحس البرد، ويدرك الظلمة ومن الألفاظ الدالة نذكر: ¹

- دلالة على التصدّد
- (المرقبة) ← المكان العالي الذي يراقبه منه الصعلوك.
 - (عنقاء) ← بعيدة وطويلة يعجز عن بلوغها.
 - (الليل) ← شدة الظلام.
 - (أسدف) ← الظلمة الحالكة.
 - (ينطوي) ← المراقبة والإلتفاف.
 - (المتعطف) ← المكان الملتوي صعب الوصول إليه.

❖ دلالة فضاء الشعاب والأودية:

يغلب على البيئة العربية قسوة الطبيعة، فهي تتفاوت بين جبال معقدة، وصحاري ممتدة وقفار مترامية، تتخللها وديان سحيقة، وشعاب واسعة وضيقة، ولهذا تعد هذه الأماكن مصدر أمن الصعاليك لصعوبة السير فيها²، وفي هذا تحدث "تأبط شرا" عن شعب من شعاب الصحراء، في جهة نائية مهجورة، ضربت حوله الجبال نطاقاً، حتى غدا الطريق إليه وعراً، وملائته الصخور، وهو يفتخر بأنه إهتدى إليه دون دليل ودون أن يسأل أحداً عنه:

وشعبُ كشلِّ الثَّوبِ شكسَ طريقَهُ مَجَامِعَ صَوْحِيهِ نطاقَ محاصِرُ
به من يسول الصيف بيض أقرهاً جُبَارُ، لَصِمِ الصخر فيه قَرَاقُرُ
تبطنته بالقوم، لم يهدي له دليلُ، ولم يُثبِتْ إلى النعتِ خابِرُ
به سَمَلَاتُ من مياهٍ قديمةٍ مواردُها ما إنْ لهن مصادِرُ³

ومن العلامات الدالة على أنه سلك الشعاب:

- الشعاب ← العبور.

¹ ينظر، المرجع السابق، عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في العصر الجاهلي.

² ينظر، حسين عطوان، بينات الشعر الجاهلي، دار الجبل، بيروت، ط1، 1993، ص25.

³ ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص236.

- دلالة على الضيق.
- شلُّ الثَّوبِ ← الالتواء.
 - الشكس ← صعوبة المرور فيه
 - جبار ← (سيل) الهلاك والفساد.
 - الصوحان ← (جانب الجبل) الضيق.

ويقدّم تأبط شراً رثاء لنفسه وتخليداً لذكراه، وذكر المكان الذي يجب أن يعيش فيه:

إنّ بالشَّعبِ الذي دون سلعٍ لقتيلاً دمه ما يطلُّ
خلف العبءِ عليّ وولّي أنا بالعبءِ حفيّ مستقلُّ
وراء الثَّارمَنّي ابن أخت مَصْعُ عَفْدَتُهُ ما تُحلُّ¹
ومن الألفاظ الدالّة:

- الشعب ← العبور والمشقة.

- سلع ← الضيق

وفي غارة على الأزد يقول تأبط شرا:

وبالشَّعبِ إذ سدّت بجيلة فجّه ومن خلفه هَضَبٌ صغارٌ وجاملُ
فعاذ بحدِّ السَّيفِ صاحبٍ أمرهم وخلّوا عن الشيء الذي لم يحاولوا
وأخطأهم قتلي ورفعت صاحبي على اللَّيْلِ لَمْ تُؤخِّدْ عليّ المخاتلُ²

فالشعر في هذه الأبيات يصف ما حدث له وصاحبه مرة بن خليف عندما أغار على الأزد (حي بجيلة)، كما يصف الشعب المحاطة بالجبال التي حاصرهم فيها العدو، وهجومه على القوم مخلفا مقتل رجل من القوم، فرموه بسهم فجرح، وأفلتا بأنفسهما تاركين المغانم، ومن الألفاظ الدالّة:

- (الشعب) ← الحصار.

- (فجه) ← الضيق.

- (لم تأخذ على المخاتل) ← الحذر والتيقظ.

وأما بخصوص المسالك الذي كان يسلكها للغزو والإغارة ويقول "عروة بن الورد":

وَسائِلُهُ أَيْنَ الرَّخِيلِ وَسائِلِ وَمَنْ يَسْأَلُ الصَّعْلوكُ أَيْنَ مَذاهِبُهُ

¹ تأبط شراً، الديوان، ص52.

² ينظر، ديوان الصعاليك، شرح يوسف شكري، ص24.

مَذاهِبُهُ أَنَّ الفِجَاجَ عَرِيضَةً إِذْ ضَنَّ عَنْهُ بِالْفَعَالِ أَقَارِبَهُ

ففي البيتين يقول الشاعر يجب أن لا يسأل الصعاليك عن مذاهبهم وطرقهم لأنها لا تعلم وأنهم اتخذوا من الفجاج مذاهبه لشح اقاربهم بالكرم عليه، ومن العلامات الدالة:¹

- الفجاج عريضة ← (الطرق الواسعة في الجبال) دلالة على العبور والمسلك.
- مذاهبه ← ← الطريق.

و"الشنفرى" هنا يذلل كل بعد وصولاً إلى الأهداف التي يريد يقول:

كأن قد فلا يغرُزُكَ مَنِّي تمكُثي سلكتُ طريقاً بين يربَع فالسردُ
وإنِّي زعيمُ أن ألفَ عَجاجي على ذي كساء، من سلامان، أو بُرد
وأمشي لدى العَصْداءِ أبغي سَراتهم وأسلكُ خلاً بين أرفاغ والسرد²

يصف الشاعر الطرق التي مر بها ومن الألفاظ الدالة:

- سلكتُ طريقاً ← العبور.
- يربع ← ← مكاني لبني تميم، السرد: مكان للأزد) دلالة على المرور منها
- العصدا ← ← ما لبني سلامات.
- الخل ← ← الطريق المرمل.
- أرفاغ والسرد ← جبالن لبني سلامان.

(وكلها ألفاظ لها دلالة العبور والمسالك التي اتخذها الصعاليك للغزو).

فليس الجزيرة العربية كلها جذبا، وإنما هناك مناطق خصبة، منها هضبة نجد العالية التي ترتفع على سطح البحر، والتي تكسو أغلبها صراع خصبة، وتنتشر فيها الأشجار، ويرجع السبب في ذلك وفرة المياه كما لا تخلو سلسلة جبال السراة من مناطق خصبة لما فيها من الأودية التي تقطع السراة إلى تهامة حتى تنتهي إلى البحر، ومن هذه الأودية (وادي الخبات) و (وادي نخلة) و(وادي نخيان)، ومن مناطق الخصب أيضا يثرب والوديان التي حولها الواقعة في هذه المنطقة البركانية ومن بين الأودية وادي إضم.³

¹ ينظر، ابن السكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبيسي، ص152- 153.

² ينظر، المرجع السابق، ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وشرح وتتح، علي ذو الفقار شاعر، ص157.

³ ينظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط11، 1119، ص17-18.

ولقد اتخذها صعاليك العرب أهدافاً يتجهون إليها، ومناطق يعملون فيها لما تحتويه من خصوبة، فقد ارتبط الوادي في شعر الصعاليك على الحياة والبطولة وفي هذا الصدد يتحدث "الشنفرى" عن واد بعيد في أعماق الصحراء ملتف الشجر، قد أفته الجن والأساد، حتى بات يخشاها المغامرون والشجعان، وكيف أقدم في جراً وشجاعة على السير فيه في وقت مبكر قبل أن يتطاير الندى عن أشجاره:¹

ووادٍ بعيدٍ العمقِ ضنكٍ جماعةُ
مَراصيدُ أيمٍ قانتِ الرأسِ أخوفُ
وحوشٍ موىٍّ زادِ الذَّنابِ مُضَلَّةٍ
بواطنةُ للجنِّ والأسدِ مألُفُ
تعسَّفتُ منه بعدَ ما سقطَ الندى
غَماليلَ يَخشى عليها المتعسِّفُ²

فهنا مواجهة المكان بما يمثله من وعورة وخوف وخطر، يبدو وكأنه مواجهة للزمان في نفس الوقت، أو هي مواجهة للمكان المتزامن الذي التحم فيه الزمان والمكان، فأصبحا مصدرين للإحساس بفجيرة الحياة، ومن ثم أصبحا دافعين وحافزين للإنسان على مواجهة القمر.³

ومن الألفاظ الدالة على ذلك:

- (وادٍ بعيد العمق) ← العمق والبعد.
 - (ضنك) ← الضيق.
 - (المراسد) ← المكان العالي الذي يراقب منه.
 - (جماعه) ← بُعد القمر (قعر الواد).
 - (حوش) ← أماكن يعتقد أن فيه الجن المخاطرة.
 - (بواطنه للجن والأسد) ← الجراً والشجاعة.
 - (الغماليل) ← ارتفاع عن سطح الأرض.
- المخاطرة بأنفسهم.

وفي شعر الصعاليك صور كثيرة متعددة الألوان والأوضاع، للغارات وحديثهم عنها في فخر وإعجاب، واعتداد بأنفسهم وبطولتهم، وفي تائبة الشنفرى المفضلية صورة رائعة

¹ ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص71، ص236.

² الشنفرى، شرح ديوان، جمع وشرح وتح: محمد نبيل طريقي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص60.

³ حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي: قضايا، فنون، ونصوص، ص391.

قوية لغارة قام بها هو وأصحابه، يصف فيها كيف أعد عصابته للغزو، ويصف الطريق الذي سلكوه¹، يقول:

وبضاعة حمرُ القسيِّ بعثتها ومن يَغزُ يَغْنَمُ مرةً ويُسَمَّتُ
خرجنا من الوادي الذي بين مشعلٍ وبين الجبا، هيهيات أنشأت سُربِي
أمشي على الأرض التي لن تُضُرَّنِي لأكسبَ مالاً أو الأقي جُمَّتِي
أمشي على أين الغزاة وبعدها يقربني منها رواحي وغدوتي

ففي هذا النص يبرز الشاعر الجانب الهجومي له، وكيف أنه كان قائدا لسرية من سرايا الصعاليك، ثم يطلعنا على المكان الغزو وأنه كان بين الجباء ومشعل بعد خروجهم من الوادي وقد هيا رفاقه الصعاليك المدربين والمعددين إعدادا خاصا للغزوات في هذا المكان وهو يسيرون على أرض لا يخافون فيها أحدا²، وتتداخل مجموعة من الألفاظ التي تدل على الغزو والبطولة:

- (مشعل والجبا) — موضعان، ومشعل موضع بين مكة والمدينة
- (تضرنني) — ← عدم الخوف.
- (الأقي جمتي) — ← عدم المبالاة بالموت (المواجهة).
- (أين الغزاة) — ← التعب لكثرة المشي.

يتحدّث تأبط شراء، عن واد يقع في اليمن قائلا:

ووادِ كجوفِ العير، قفر، قَطَعْتُهُ به الذئبُ يعوي كالخليع المعيلِ
تعدّي بزيّارة، تعجُّ، ما القوا ومَنْ يَكُ يبيغي طُرْقَةَ الليلِ يُرْمَلُ
فقلتُ له لَمَّا، عوى: إنّ "ثابتاً"³ قليل الغنى إنّ كنتَ لَمَّا تمول³

ففي هذه الأبيات يفتخر الشاعر بقطعه وادٍ لا نبات فيه ولا صيد في الليل الظالم، وهذا المكان خطير جدا لما يحتويه من وحوش كعواء الذئاب الهزيلة التي تسعى إلى الزاد، فالشاعر يخاطبها بأنّه حاله كحالهم باحث عن شيء يأكله⁴، ومن العلامات الدالّة:

¹ ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص44.
² ينظر، محمود حسن أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأدبي، ص145-146.
³ تأبط شراء، الديوان، ص181.
⁴ ينظر، ديوان تأبط شراء وأخباره، جمع وتح وشرح، علي ذي الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م، ط1، 1984، ص182-183.

- دلالة على الأمكنة التي تنعدم فيها الحياة.
- (جوف العير) ← لا ينتفع منه بشيء (الوحشي).
 - (قفر) ← خال تنعدم فيه الحياة.
 - (طُرْقَة) ← شدة الظلام.
 - (الزِّيْزَة) ← الغليظة من الأرض.
 - (تعجُّ) ← تردد الصّوت لخلوها.
 - (القوا) ← الخلاء القفر .

أما عروة بن الورد يروي سيء امرأة من بني هلال وكان يواعدها، فتوعده قومها بالقتل يقول:

تحنُّ إلى سلمى تُحرِّ بلادها، وأنت عليها بالملا كنت أقدر
 تحلُّ بوادٍ من كراءٍ مُضِلَّةٍ تحاول سلمى أن أهَابَ وأحصرأ
 وكيف تُرَجِّبها وقد حيل دونها وقد جاوزت حياً نَيْمَن منكرأ
 تتعاني الأعداء إمَّا إلى دمٍ وإمَّا عراض الساعدين مُصدِّرا
 يَظُلُّ الأباء ساقطاً فوق متنه لهُ العدوَّة الأولى، إذا القُرُنُ أصحرا¹

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن الأرض الواسعة، تسكن فيها سلمى في بلاد كراء وهي أرض بيثنة كثيرة الأسود، قرب واد يضيق الصدر بلوغه لطوله، وتمنوا له موضعا مخوفا يصيبه فيه من القوم أو الأسود ومن الألفاظ الدالة:²

- دلالة على أماكن الحيوانات الموحشة.
- (الملا) ← الاتساع.
 - (كراء) ← أرض تكثر فيها الأسود.
 - (مظلة) ← الظلال والهلاك.
 - (عراض من الساعدين مُصدِّرا) ← عريض الصدر.
 - (يَظُلُّ الأباء) ← القصب الكثيف تنعدم الرؤية فيه.

ومن خلال ما سبق توصلنا في هذا الفصل أنّ الشعراء الصعاليك قد اجتمعوا على فكرة التمرد والغضب، إلا أنّ لكل واحد منهم شخصيته تميزه، وقد كان للبيئة أثر كبير

¹ ديوان الصعاليك، شرح يوسف شكري فرحات، ص48-49.

² ينظر، ابن السكيت، شرح ديوان عرو بن الورد العبسي، ص 53-54-55-56.

انعكس على حياتهم من خلال اللجوء إلى الجبال والفيافي الموحشة، ووديانها المخيفة، وصحرائها الواسعة أدى إلى عدة دلالات، نذكر منها: الضيق، والوحشة، وغيرها.

خاتمة

خاتمة:

نخلص في نهاية بحثنا الموسوم بـ: "دلالة الفضاء عند الشعراء الصعاليك" إلى جملة من النتائج تتمثل في:

- أن الصعلكة ظاهرة إجتماعية، كانت إلى حد كبير كرد فعل طبيعي لظلم واقع وضرر حاصل صادف عزيز النفس، وكبير همة، فقام في نفسه الإباء، فاقتحم المخاطر متصعِّبًا جاعلاً للصعلكة أهداف سامية، ومراعي نبيلة.

- ظاهرة الصعلكة تعد نزعة إنسانية نبيلة، وإن اختلفت أسباب خروج هؤلاء الصعاليك بين من مخرج عن قومه بسبب التميز العنصري، وآخر للثأر والإنتقام ومنهم من اتخذ شعره وسيلة لإعلان فلسفة الاجتماعية والاقتصادية.

- ينقسم الصعاليك إلى ثلاثة طوائف، طائفة الخلفاء الشذاذ وهم الذين تبرأت منهم قبائلهم، والطائفة الثانية الأعرية السود وهم أمهاتهم السود، ولم يعترف بهم آبائهم، وأما الطائفة الثالثة فهي الفقراء الذين رفضوا الظروف المعيشية الاجتماعية والاقتصادية، في المجتمع الجاهلي.

- كانت حياة الشعراء الصعاليك في المجتمع الجاهلي، حياة تقوم على الغزو والإغارة للسلب والنهب من الأغنياء، إما لتحقيق غايات شخصية والإنتقام لما تعرضوا له من ظلم إجتماعي حال الشنفرى وصحبه، وإمّا لغايات نبيلة تتمثل بمساعدة الفقراء، حال عروة بن الورد، وعلى اختلاف الغايات كان لشعرهم طابعه المختلف عن شعر البادية بصورة عامة.

- على الرغم من السلب والنهب وغيرها من من الطرق غير المشروعة، التي سلكها الصعلوك إلا أنه ظل وفيًا مخلصًا لغيره خاصة زوجته، أمه، وفيًا لمن فعل معه الخير.

- أمّا عنصر الفضاء نلاحظ أنّه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإنسان، فلا حياة بمغزل عنه، فالفضاء يستمد جماليته وهندسته من إبداع الإنسان، الذي يضيف عليه طابعه الإنساني، فهو يشكل وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي، فلا تخلو منه النصوص الشعرية.

- إهن الحياة القاسية التي عاشها الشعراء الصعاليك كان لها أثر بالغًا في شعرهم، مما انعكس على موضوعاتهم، فجاءت ملونة بألوان ما عانوه من مصاعب ومشكلات غيرت حياتهم.

- كان للأسلحة التي تمثل ركناً أساسياً في حياة الصعلوك دوراً هاماً في بناء أشعرهم القوس والرمح، فافتخروا بأدوات الغزو، ولم يكن حديثهم عنها حديثاً عابراً، وإنما حديثاً يصف مضاعفاتها وقوتها وصلابتها.

- أن شعر الصعاليك هو ظاهرة فريدة في مسار الشعر العربي، لأنه ثورة حدثت على المستويين الاجتماعي والفني معاً.

- حمل الشعراء الصعاليك روح التمرد، ليس فقط على أقوامهم، وإنما على القوالب التقليدية أيضاً، التي بنيت عليها القصيدة العربية، وعارضوا نظامها، فرفضوا المقدمة الطللية والوقوف عليها والبكاء على الديار، يضاف إلى ذلك عدم استعمالهم للتصريح في مستهل قصائدهم، الأمر الذي جعل قصائدهم تتميز بسرد القصص، لأن الشعراء الصعاليك كانوا يفتخرون بالقصص الذي يتعرضون إليها، ومغامراتهم وصراعاتهم مع الوحوش.

- إن علاقة الشعراء الصعاليك بالطبيعة، تكاد تكون علاقة ألفة واستئناف.

- يعد عروة بن الورد من أجود الصعاليك وأنبههم شيماء، إذ كان لا يغزوا لمآرب شخصية، بل كان يغزوا ليطعم الضعفاء والفقراء في قومه.

- يعد تأبط شرا من الصعاليك الفتاك وفي أغربة العرب الأشداء وتكاد تجمع في شخصيته مقومات الصعلكة في أشرس صورها.

- استمد الشنفرى كغيره من الشعراء الصعاليك معانيه من التجربة التي عاشها في مجتمعه.

- السليك بن السلعة اشتهر بالعدو والمعرفة الدقيقة للصحراء ومسالكها.

- لما كانت الصحراء شاسعة هي البيئة الجديدة لهؤلاء الشعراء، فقد وصفوها في شعرهم، وصوّروا اكتوائهم بشمسها الحارقة، كما قضا حياتهم ينتقلون بين وديانها وجبالها، فتضمن شعرهم ألفاظاً غزيرة أوحى بها الصحراء، ومظاهرها، وطبيعة الحياة.

- ونلاحظ من خلال أشعار الصعاليك عدة دلالات منها.

• الصحراء تدل على الاتساع وخلوها من الناس، ولها دلالة أخرى هي شدة الحر. المكان اليابس الذي لا ماء فيه.

الجبل يدل على الارتفاع الشامخ والعلو الشاهق، فهو يحمل دلالات القوة والصلابة والثقة والنبات، الشعاب والمسالك تدل على الضيق.



قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- 1- ابن فارس، ابن الحسن، مقاييس اللغة، تدقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 199، المجلد 4.
- 2- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، لندن، ج1، د.ط، 1921.
- 3- أبو الحسن بن اسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تح عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 4- أبو العباس المفضل بن الضبي، ديوان المفضليات مع الشرح لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، مطبعة الآباء اليسو، عين بيروت، د.ط، 1920.
- 5- أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكرة ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، المجلد 11.
- 6- أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تح: لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط5، 1981، المجلد 20.
- 7- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم الصامرائي، دار الرشيد، د.ط، 1981.
- 8- عروة بن الورد والسموأل، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، د.ط، د.ت.
- 9- الفيروز أبادي (محمد الدين محمد)، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، المجلد 4.
- 10- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 2010.
- 11- محمد الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، المجلد 8.

2- المراجع:

- 1- ابن سكيت، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، خزانة الكتب العربية، جول كربونل، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 2- ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، د.ط، د.ت.
- 3- أبي مؤرخ عمر الدوسي، شعر الشنفرى الأزدي، تح: علي ناصر غالب، راجعه عبد العزيز بن الناصر المانع، أشرف على طبعه محمد الجاسر، من مطبوعات مجلة العرب، د.ط، د.ت.
- 4- أحمد كمال زكي، شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- 5- بشار سعدي إسماعيل، شعر الصعاليك الجاهليين في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2014-2015.
- 6- تأبط شراء، الديوان، تح: عبد الرحمان مصطفى، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 7- تأبط شراء، ديوان، تح: علي ذو الفقار شاكر الغرب الإسلامي، ط1، 1984.
- 8- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- 9- حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج1، رشاد بوسي، طبع في لبنان، د.ط، د.ت.
- 10- حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (المغرب)، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 11- حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا وفنون، ونصوص، مؤسسة المخطار للنشر والتوزيع، ط2، 1424هـ- 2003م.
- 12- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، د.ط، 2003.

- 13- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2004.
- 14- ديوان الصعاليك، الشنفرى، عروة بن الورد، السليك بن السلكة، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، د.ط، 2004.
- 15- ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتح أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1418هـ- 1998م.
- 16- زهير الحيواري، ياسين النصير، المكانية في الفكر والفلسفة والنقد، البنيوي، للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2008.
- 17- سحر سليمان الخليل، كتاب خاص في تاريخ الأدب العربي القديم، دار البلدية، ناشرون وموزعون، ط1، 2011-1432هـ.
- 18- السليك بن السلكة، أخباره وشعره، دراسة وجمع وتح: حميد آدم تويني، وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1984م.
- 19- سليم بدقة، تريف السرد الروائي الجزائري، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2014-1435هـ.
- 20- شرح ديوان الشنفرى، جمع وشرح وتح محمد نبيل الطريفي، دار الفكر العربي، بيروت، ج1، د.ط، د.ت.
- 21- الشريف حبيلة، مكونات الخطاب السردى، مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديثة، إريد، الأردن، ط1، 2011.
- 22- شعر تأبط شرا، دراسة وتح: سلمان داود القرعة غولي، وجبار ثعبان جاسم، مطبعة الآداب، النجف، ط1، 1973.
- 23- الشنفرى، الديوان، تح: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
- 24- الشنفرى، ديوان الشنفرى ومختارات من شعر السليك بن السلكة وعمرو بن براق، قدم له وشرحه صلاح الدين الهوارى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، 2011.

- 25- الشنفرى، شرح ديوان الشنفرى، وجمع وشرح وتح: محمد نبيل طريفي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 26- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، 1119، ط1، د.ت.
- 27- عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1987م.
- 28- عبد الرحمان عبد الحميد علي، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار الكتب الحديثة، د.ط، 2002.
- 29- عبد الرحمان المصطفاوي، ديوات تأبط شرا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2006.
- 30- عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، 2002.
- 31- عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين إلى أين، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1983م.
- 32- عبدو البدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1988.
- 33- عروة بن الورد، الديوان، تح: سعدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1970.
- 34- عروة بن الورد، الديوان، شرح وتح: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- 35- عروة بن الورد، الديوان، شرح عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، للطباعة ونشر التوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- 36- علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، د.ط، 1998م.
- 37- عمر الدسوقي، الفنون عند العرب، دار نهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط4، د.ت.

38- غازي ظليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي – الأدب الجاهلي- دار الفكر، دمشق، ط2، 2007.

39- محمود حسن أبو ناجي، الشنفرى، شاعر الصحراء الأبي، عاصمة الثقافة العربية، د.ط، 2007.

الفهرس

الفهرس

البسمة

الإهداء

شكر و عرفان

أ مقدمة

2 مدخل

الفصل الأول: شعر الصعاليك وعلاقته بالفضاء الطبيعي

14..... أولاً: تعريف الفضاء لغة واصطلاحاً

17..... ثانياً: علاقة التمرد بالفضاء الطبيعي

20..... ثالثاً: موضوعات شعر الصعاليك

26..... رابعاً: أهم الظواهر الفنية واللغوية والعروضية في شعرهم

الفصل الثاني: دلالة الفضاء المكاني في شعرهم

33..... أولاً: نبذة عن حياة الشعراء الصعاليك

37..... ثانياً: دلالة فضاء الصحراء المتماذي اللامنتهي

42..... ثالثاً: دلالة فضاء الجبل

46..... رابعاً: دلالة فضاء الشعاب والأودية

54..... خاتمة

57..... قائمة المصادر والمراجع

63..... الفهرس

الملخص

ملخص:

الصعاليك هو الفقراء، لكنهم في هذا الاتجاه الثوري لم يكونوا فقراء فقط، بل كانوا فقرا شجعاناً أقوياء أصحاب حس مرهف وإدراك لما بينهم وبين الأغنياء من فوارق، جعلهم هذا يدركون الأهم النابع من خلاء أيديهم من المال، وعجزهم عن الحياة التي يشتهون، لقد تأثروا على النظام القبلي، فغنموا بالقوة ما قد حرموه.

واشتهر منهم في الجاهلية: عروة بن الورد، وتأبط شرا، والشنفرى، والسليك بن السلكة، وعرفوا جميعاً بسرعة الحركة والخفة والعدو والخبرة بدروب الصحراء.

الكلمات المفتاحية: الصعاليك، الفضاء، الدلالة، الشنفرى.